المجلد: ٥٥

شعارنا الدعوة إلى الإسلام في ضوء جديد

البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

العدد ال

المجلد الخامس والخ

محرم-صفر ١٤٣١هـ يناير-فبراي

- انفلونزا الخنازير، بين الحقيقة و"الحكمة"
- القيادة الإسلامية أمام تحديات جديدة
- هل سعدت البشرية في ظل المدينة الحديثة؟!
- رجال صدقوا! البراء بن مالك
- مفهوم التوسل وحقيقته
- بين القرآن الكريم والقراءات

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكناؤ، أترابرادیش (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٣١، ٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢-٠٠٩١

Fax : 91-522-2741221, 2741231
Mobile : 0091- 9839911470, 9415546882

Monthly

RNI No.(U.P.ARA/2000/2341)
Regd. No. LW-NP/642006 To 2008

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Vol. 55, Issue-4)

(Dec. 2009)

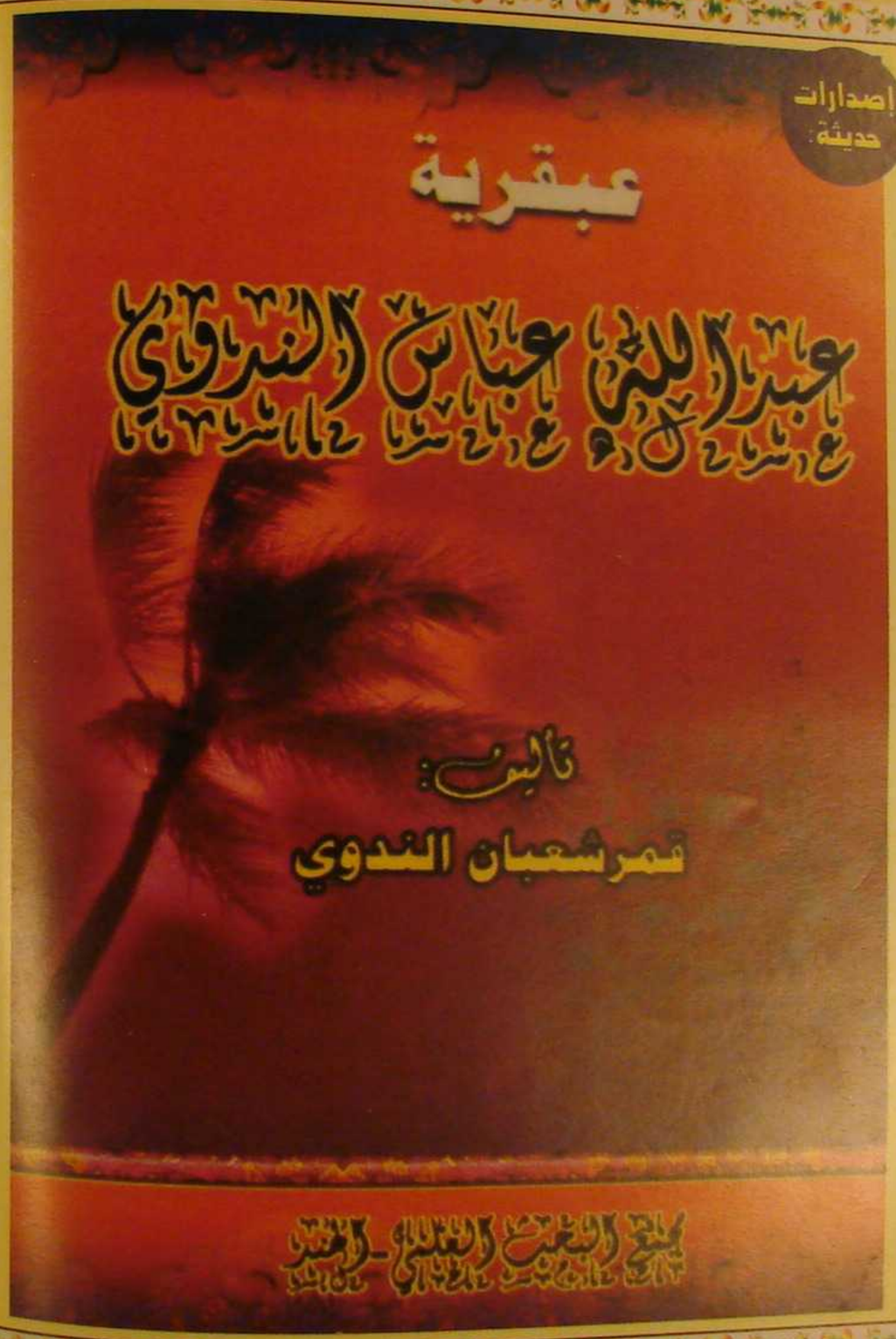

Designed & Printed At : Mashhud Enterprises : #9235794786 (Only Cover)

Printed & Published by **ATHAR HUSAIN** on behalf of **Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat** (Dept. of Journalism & Publicity) at Azad Press, Nazirabad, Lucknow. U.P.

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

فقيد الـ
الأستاذ محمد الحسني
- رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

المجلد الخامس والخمسون

رئاسة التحرير سعيد الأعظمي واضح رشيد الندوي

محرم وصفر ١٤٣١هـ

العدد الخامس

يناير وفبراير ٢٠١٠م

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007-04 U.P (INDIA)
e-mail : nadwa@sancharnet.in
Fax: 0522-2741221/2741231
Mobile: 0091-9839911470/9415546882

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الفاكس : ٢٧٤١٢٣١-٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢
موبائل : ٩٤١٥٥٤٦٨٨٢-٩٨٣٩٩١١٤٧٠-٠٠٩١

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عمليا، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدد بالغرب تقليده وتقديره، ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

شروط الاشتراكات

★ في الهند

ثلاث مأة روبية ٠٠ / ٣٠٠

ثمن النسخة : ٣٠ / روبية

★ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي،

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :

باسم: "البعث الإسلامي"

AL-BAAS-EL-ISLAMI

A/C No. 10863759846 (SBI Lko Main Branch)

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Majlis Sahafat, Wa Nashriyat

P.O. Box No. 93, Lucknow

U.P. Pin 226007 (India)

محتويات العدد

الافتتاحية :

انفلونزا الخنازير بين الحقيقة و "الحكمة" — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

بين القرآن الكريم والقراءات — الأستاذ الدكتور محمد السيد علي بلاسي — ٨

هل سعدت البشرية في ظل المدنية الحديثة — الأستاذ الدكتور غريب جمعة — ١٥

الدعوة الإسلامية :

رجال صدقوا : البراء بن مالك — الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٠

مفهوم التوسل وحقيقته ! — الأستاذ الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل — ٢٦

في الساحة الأدبية :

الطيب صالح : عبقري الرواية العربية — الأستاذ الدكتور جمال الدين الفاروقي — ٣٣

حنين بن إسحاق ومنهجه في الترجمة العربية — الأستاذ الدكتور محمد قطب الدين الندوي — ٤٠

لماذا يطلق على لاعبي الكرة فراعنة — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٤٨

من تاريخ علماء العرب والهند :

ثناء الإمام عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما — الأستاذ الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ٥٦

الإمام زيد بن علي رحمه الله وقراءاته — الأستاذ الدكتور غبد الماجد نديم — ٦٢

العلامة شبلي النعماني رائد النهضة التعليمية الحديثة دراسة موضوعية لمآثره العلمية والدينية — الأستاذ اے ایچ النعماني ترجمة : الأخ محمد فرمان الندوي — ٧٥

دراسات وأبحاث :

إعجاز التشريعي للقرآن الكريم — الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٨٠

صور وأوضاع :

القيادة الإسلامية أمام تحديات جديدة — الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٥

بأقلام الشباب :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي — الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي — ٩٢

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ أخلاق حسين في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٦

فضيلة الشيخ المفتي عبد القدوس رومي في ذمة الله تعالى — .... — ٩٧

فضيلة الأستاذ الدكتور مقتدى حسن الأزهري إلى رحمة الله تعالى — .... — ٩٧

فضيلة الشيخ محمد مسلم الرحماني في ذمة الله تعالى — .... — ٩٨

فضيلة المفتي أمير الله خان البوفالي إلى رحمة الله تعالى — .... — ٩٩

الحاج محمد ياسين المئوي إلى رحمة الله تعالى — .... — ١٠٠

رحيل الأخ عبد الحميد خادم دار الضيافة بدار العلوم ندوة العلماء — .... — ١٠٠

الباب الحر بمكتبة ندوة العلماء

الافتتاحية :

انفلوئنزا الخنازير بين الحقيقة و "الحكمة"

منذ شهور مضت عرف العالم البشري انفلوئنزا الخنازير بعد ما كان يعاني من انفلوئنز الطيور ؟ الذي استقطب اهتمامات كبيرة من أولياء الأمور في كل بلد وُجدت فيه حالة هذا النوع من أمراض الطيور ، وسارعوا إلى إبادة مجموعات هائلة من الطيور ، وقد رأينا وسمعنا أن البقعة التي شقيت بمثل انفلوئنزا الطيور حدث فيها تحريق جميع أنواع الطيور التي وُجدت في المنطقة كالدجاجة مثلاً والحمام والطيور البحرية والبرية ، ولم يتأن الناس في رمي بيض الدجاج التي وُجدت في المنطقة المصابة بعدد ملايين الملايين إلى قاعة البحار ، فكانت الحكومات والدول تقوم قيامتها كلما سمعت عن هذا المرض المعدي ، فبذلت كل وسيلة للتخلص بأسرع ما يمكن ، عن مثل هذه الأمراض ، لكي لا تصل عدواها إلى المواطن التي لا تزال محمية من فيروسات الانفلوئنزا .

ومنذ أيام قلائل تولت وسائل الإعلام وأجهزته نشر أخبار انفلوئنزا الخنازير وظهور فيروسات هذا المرض الخطير في المجتمعات الإنسانية ، وقد ظهر ذلك لأول مرة في "الميكسيك" خلال العام الجاري ٢٠٠٩م ، وأعلنت منظمة الصحة العالمية عن التحذير من هذا الوباء ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية في مقدمة البلدان التي تأثرت بـ "انفلوئنزا الخنازير" إلى درجة بعيدة المدى ، ومنها تعدت إلى بلدان العالم الأخرى ، حيث اتخذ الناس وقايات للصيانة من هذا المرض المعدي ، فمن كان مصابا

به تسري فيروسات منه إلى الآخرين وهكذا تنتشر عدواها بين أفراد المجتمع ، والناس يعيشون فيه بين كراهية وخوف منه .

في شهر أبريل ٢٠٠٩م أعلنت منظمة الصحة العالمية بارتفاع درجة هذا الوباء إلى درجة قصوى ، ومنذ ذلك الوقت حتى شهر يوليو ٢٠٠٩م بلغت حالة الإصابة بهذا الوباء في العالم كله (٩٤٥١٢) – كما بلغت حالة الإصابة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ٣٣٩٠٢ ، كما أن العالم العربي الإسلامي ظهرت فيه حالات الإصابة بهذا المرض قليلاً ، وكذلك الهند وبعض البلدان الشرقية الأخرى ، ذاك أن السبب في هذا المرض الذي اتخذ صورة الوباء الخطير ، إنما هو الخنزير نفسه ، فإن الاختلاط بآكلي لحومه وشحومه ينقل فيروسات المرض إلى عددكبير ممن يختلطون بمن يكون مصاباً بهذا المرض الوبائي .

ولعل هناك حكمة سياسية كذلك في التحذير من هذا الداء الخطير فجاءة ، ونشر الدعاية ضده فوق ما كان عليه بدرجات كثيرة ، وقد كان الإسلام قد حرم لحم الخنزير قبل الجميع فكأنّه أبدى ما يكنّه هذا اللحم الحرام من أدواء وأضرار كثيرة ، إذن لا بد من وضع الحجر على جميع ما يتعلق بالخنازير ويورث انفلوئنزا الخنازير ، ولعل ذلك يكون منة على الفريق الذي لا يأكل لحم الخنزير من غير المسلمين ، وانتصاراً له على الفريق الذي يأكله ويعتبره إحدى المواد الغذائية اللحمية .

وهناك من الحكمة السياسية والمصالح القومية أن يشاع عنه كل نبأ يكفي لصرف أنظار الجماهير عن القضايا الساخنة ، أو تزلفا إلى سلطة أو استرضاء لفئة أو جماعة تكون أقوى تأثيراً بإزاء فئة أو جماعة أخرى ، ومما يعلم الجميع أن الحمى مع ارتفاع درجتها وتضخم الغدود في الحلق مما يسبب

السعال والعطاس ، وكذلك الصداع ، وما يتبعه من آلام ، ليس كل ذلك غريباً على المجتمعات البشرية في أي زمان ، إلا أن نسبة هذه العلامات إلى الخنازير وتحذير الحكومات منها ، ليخبرن بشيء ، أريد لأهداف خاصة واعتباره داء عضالاً عالمياً لا ينشأ إلا من خلال فيروسات الخنازير التي حرمها الإسلام ، كأن ذلك كان هدية إلى المسلمين ، لأنه تبين بغاية من الوضوح أن الخنازير لا مكان لها في المجتمعات البشرية ، فبذلك سيفرح المسلمون وأصحاب بعض الديانات القديمة ، الذين يتبرأون من أكل هذا الحرام ، ويعتبرونه داءً من الأدواء لا غذاءً من الأغذية .

انتهز المغرضون حكمة كبيرة في نشر الأنباء لانفلوئنزا الخنازير في العالم كله وفي وقت واحد ، فبينما كانت حمى الطيور (BIRD FLU) لا تبقى إلا إلى مدة قليلة وفي منطقة أو بلدة بذاتها وكانت تنتهي بمجرد عودة الصحة إلى الطيور في أقل مدة ، أما انفلوئنز الخنازير (SWINE FLU) فقد أُعلن عنه على المستوى العالمي في شهر أبريل المنصرم لنفس هذا العام ٢٠٠٩م ، ولكنه بعد مضي تسعة أشهر لم يتوقف تياره ، وما زالت تتجدد حيناً بعد حين ، وتتجدد مع ذلك الأرقام والحقائق التي كانت قبل أشهر ، ثم تفاقمت عدواه على الصعيد العالمي ، وتزايدت حالات المرض ، ولا تزال .

إن امتداد مدة هذا الانفلوئنزا ، وفيروساته ليس مما يُعقل ، بل الواقع أن كثيراً من الناس في كل عام وعلى المستوى العالمي يصابون بمثل هذا المرض ، بالحمى والصداع والسعال والعطاس ، ولكن ذلك لم يستلفت دول العالم الكبرى في أي زمان ومكان إلا هذا العام ، ولعل عقلاء العالم والدول الكبرى

توصلوا إلى الإعلان عنه على مستوى العالم ، واستخدام جميع وسائل الإعلام من الصحافة والإذاعة والتلفاز والانترنت ومواقعه ، ولم يتركوا جهة من جهات الشرق والغرب والشمال والجنوب ، والعرب والعجم إلا وقد تابعوا نشر الأنباء عن هذا الانفلوئنزا ، الواقع الذي يشير بوضوح أن هناك أغراضاً ومصالح وحكمة سياسية تكمن في هذه العملية الإعلامية التي هي مستمرة ، وسوف لا يخفى على العارفين أن وراء ذلك سراً عجيباً لتحقيق أحلام السلطة الموحدة التي تسوق العالم كله بعصا واحدة ، وتنال ذلك المطلوب باسترضاء السادة الكبار ، ممن لا يرضون بالأمن والسلام ، وبأقل من مثل هذه الإجراءات السخيفة ، كما قد وجد في التاريخ أحداث أمراض مصطنعة لتحقيق أخس غرض وأتفه نتيجة .

لفتة خاصة أيها المنصفون من قرائنا الكرام إلى التفكير في هذه الحقيقة و "الحكمة" ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل الآية/١١٢) .

ومنذ أن أعلن عن هذا المرض قبل تسعة أشهر وضعت الدول حظراً على المسافرين إلى خارجها إلا بالتلقيح الوقائي الحاسم لذلك المرض ، وكذلك عند العودة إلى مواطنهم تفتش الدول عن العائدين إلى بلدهم ، خوفاً مما إذا كانت فيروسات المرض قد هجمت عليهم ، فينشرون عدوى الانفلوئنزا في بلادهم .

وقد تقلل عدد المعتمرين والحجيج خوفاً من أجل هذا الوباء وطول الإجراءات في بلدهم ، حيث يواجهون نفس

الإجراءات في مطار جدة ، ثم كما يواجهون بعد العودة إلى بلدانهم ، فاستفاد زعماء العالم من إعلان انفلوئنزا الخنازير منافع عديدة من الإضرار بالمسلمين وبعث السرور فيمن أرادوا لهم ، وإخراج هيبة عبادة الحج وقدسية الحرمين الشريفين من قلوب المسلمين .

وقد صدق من قال : لا شيء أضيع من مودة تُمنح من لا وفاء له ، وحباء يُصطنع عند من لا شكر له ، وأدب يحمل إلى من لا يتأدب به ولا يسمعه ، وسر يستودع عند من لا يحفظه ، فإن صحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً ، وإذا مرت بالنتن حملت نتناً .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ❖ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ❖ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ❖ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ❖ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ❖ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحج الآيات/٦٧ - ٧٢) .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

سعيد الأعظمي
١٤٣٠/١١/١٣هـ

توصلوا إلى الإعلان عنه على مستوى العالم ، واستخدام جميع وسائل الإعلام من الصحافة والإذاعة والتلفاز والانترنت ومواقعه ، ولم يتركوا جهة من جهات الشرق والغرب والشمال والجنوب ، والعرب والعجم إلا وقد تابعوا نشر الأنباء عن هذا الانفلوئنزا ، الواقع الذي يشير بوضوح أن هناك أغراضاً ومصالح وحكمة سياسية تكمن في هذه العملية الإعلامية التي هي مستمرة ، وسوف لا يخفى على العارفين أن وراء ذلك سراً عجيباً لتحقيق أحلام السلطة الموحدة التي تسوق العالم كله بعصا واحدة ، وتنال ذلك المطلوب باسترضاء السادة الكبار ، ممن لا يرضون بالأمن والسلام ، وبأقل من مثل هذه الإجراءات السخيفة ، كما قد وجد في التاريخ أحداث أمراض مصطنعة لتحقيق أخس غرض وأتفه نتيجة .

لفتة خاصة أيها المنصفون من قرائنا الكرام إلى التفكير في هذه الحقيقة و "الحكمة" ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل الآية/١١٢) .

ومنذ أن أعلن عن هذا المرض قبل تسعة أشهر وضعت الدول حظراً على المسافرين إلى خارجها إلا بالتلقيح الوقائي الحاسم لذلك المرض ، وكذلك عند العودة إلى مواطنهم تفتش الدول عن العائدين إلى بلدهم ، خوفاً مما إذا كانت فيروسات المرض قد هجمت عليهم ، فينشرون عدوى الانفلوئنزا في بلادهم .

وقد تقلل عدد المعتمرين والحجيج خوفاً من أجل هذا الوباء وطول الإجراءات في بلدهم ، حيث يواجهون نفس

الإجراءات في مطار جدة ، ثم كما يواجهون بعد العودة إلى بلدانهم ، فاستفاد زعماء العالم من إعلان انفلوئنزا الخنازير منافع عديدة من الإضرار بالمسلمين وبعث السرور فيمن أرادوا لهم ، وإخراج هيبة عبادة الحج وقدسية الحرمين الشريفين من قلوب المسلمين .

وقد صدق من قال : لا شيء أضيع من مودة تُمنح من لا وفاء له ، وحباء يُصطنع عند من لا شكر له ، وأدب يحمل إلى من لا يتأدب به ولا يسمعه ، وسر يستودع عند من لا يحفظه ، فإن صحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً ، وإذا مرت بالنتن حملت نتناً .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ❖ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ❖ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ❖ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ❖ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ❖ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحج الآيات/٦٧ - ٧٢) .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

سعيد الأعظمي
١٤٣٠/١١/١٣هـ

التوجيه الإسلامي :

بين القرآن الكريم والقراءات

(الحلقة الثانية)

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(E-mail: Dr- Plasy@maktoob.com)

كتابة القرآن الكريم :

اتخذ رسول الله – ﷺ – كتاباً للوحي ، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته ؛ مبالغة في تسجيله وتقييده ، وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله – تعالى – ؛ حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ .

وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ومعاوية ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس ، وغيرهم .

وكان رسول الله – ﷺ – يدلهم على موضع المكتوب من سورته ، ويكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب (١) أو اللخاف (٢) ، والرقاع (٣) ، وقطع الأديم (٤) ، وعظام الأكتاف والأضلاع ، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله – ﷺ .

---

(١) العسب – بضم العين والسين – : جمع عسيب ، وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض .

(٢) اللخاف – بكسر اللام – جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء : وهي الحجارة الرقيقة .

(٣) الرقاع : جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد .

(٤) الأديم : الجلد .

وهكذا انقضى العهد النبوي الشريف والقرآن مجموع على هذا النمط ، بيد أنه لم يكتب في صحف ولا في مصاحف ، بل كتب منثوراً بين الرقاع والعظام ونحوها مما ذكرناه (٥) .

ولما توفي النبي – ﷺ – وقام بالأمر بعده أحق الناس به أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وقاتل الصحابة – رضوان الله عليهم – أهل الردة وأصحاب مسيلمة وقتل من الصحابة نحو الخمسمائة أشير علي أبي بكر بكتابة القرآن في مصحف واحد (٦) ؛ خشية أن يذهب بذهاب الصحابة فتوقف في ذلك من حيث إن النبي – ﷺ – لم يأمر في ذلك بشيء ، ثم اجتمع رأيه ورأي الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – على ذلك ؛ فأمر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه ، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر – رضي الله عنه – حتى توفي ، ثم عند عمر – رضي الله عنه – حتى توفي ، ثم عند حفصة – رضي الله عنها – (٧) .

ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان –

---

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن : للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، ٢٤٦/١ ، ٢٤٧ وهامشها ، ط. عيسى البابي الحلبي ، د. ت .

(٦) اعتاد الكثيرون من العلماء – قديماً وحديثاً – أن يقولوا في مثل هذا الموطن : (جمع القرآن) ، ونسوا أن الجمع يراد به أحد أمرين :

أ- جمعه بمعنى حفظه .

ب- جمع القرآن بمعنى : الكتابة .

وقد تحقق كلا الأمرين في عهد النبي – ﷺ – !

(٧) النشر في القراءات العشر : لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تحقيق علي محمد الضباع ، ٧/١ ، ط. مصطفى محمد بمصر ، د. ت .

رضي الله عنه – حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وآذربيجان فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم للآخر : قراءتي أصح من قراءتك ، فأفزعه ذلك ؛ وقدم على عثمان وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ؛ فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلتها إليه ؛ فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال : إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم .

فكتب عنها عدة مصاحف ؛ فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفاً بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفاً يقال له الإمام ، ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين .

وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه ؛ توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله – ﷺ – كما صرح به غير واحد من أئمة السلف كمحمد بن سيرين وعبيدة السلماني وعامر الشعبي ، قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل (٨) .

وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن

(٨) المصدر السابق : ١/ ٧ ، ٨ – بتصرف يسير – .

الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله – ﷺ – ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي – ﷺ – .

فمن كان بالمدينة : ابن المسيب ، وعروة ، وسلم ، وعمر ابن عبد العزيز ، وزيد بن أسلم .

وبمكة : عبيد بن عمر ، وعطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن أبي مليكة .

وبالكوفة : علقمة ، والأسود ، والحارث بن قيس ، وعمرو ابن ميمون ، وأبو زرعة .

وبالبصرة : عامر بن عبد قيس ، وأبو العالية ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر .

وبالشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة وغيره .

ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ؛ حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ؛ ولتصديقهم للقراء نسبت إليهم :

فكان بالمدينة : أبو جعفر القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبي نعيم .

وكان بمكة : عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصين .

وكان بالكوفة : يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش ثم حمزة ثم الكسائي .

وكان بالبصرة : عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء ثم عاصم ثم يعقوب الحضرمي .

وكان بالشام : عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري ثم شريح بن يزيد الحضرمي .

ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف ؛ وكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل الضبط ، واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق ؛ فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد ، وبينوا الحق المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذ ، بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها (٩) .

وخلاصة القول :

إنك تستطيع أن تفرق بين مرات كتابة القرآن في عهودها الثلاثة : عهد النبي – ﷺ – وعهد أبي بكر ، وعهد عثمان – رضي الله عنهما – :

أ- فجمع القرآن في عهد النبي – ﷺ – كان عبارة عن كتابة

(٩) نفس المصدر : ٨/١ ، ٩ – باختصار – ، وقارن بـ : مناهل العرفان : ٢٤٦/١ وما بعدها ، والإتقان في علوم القرآن : للعلامة السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ٧٦/١ وما بعدها ، الطبعة الرابعة – مصطفى البابي الحلبي ، سنة ١٩٧٨م ، وتاريخ القرآن الكريم : د. محمد سالم محيسن ، ص/١٢٨ وما بعدها ؛ ط. رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٤٠٢هـ ؛ تجد مزيداً من التفصيل .

الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها ، ولكن مع بعثرة الكتابة وتفرقها بين عسب ، وعظام ، وحجارة ، ورقاع ، ونحو ذلك حسبما تتيسر أدوات الكتابة ؛ وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثق للقرآن ، وإن كان التعويل أيامئذ كان على الحفظ والاستظهار (١٠) .

وإنما لم يجمع القرآن أيامئذ في صحف ولا مصاحف لاعتبارات كثيرة :

أولها : أنه لم يوجد من دواعي كتابة في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر حتى كتبه في صحف ، ولا مثل وجد على عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف .

فالتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة ، وأدوات الكتابة غير ميسورة ، وعناية الرسول – ﷺ – باستظهار القرآن تفوق الوصف وتوفي على الغاية ، حتى في طريقة أدائه على حروفه السبعة التي نزل عليها .

ثانيها : أن النبي – ﷺ – كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية وآيات .

ثالثها : أن القرآن لم ينزل مرة واحدة ، بل نزل منجما في مدى عشرين سنة أو أكثر .

رابعها : أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله ، فمن المعلوم أن نزوله كان على حسب الأسباب ، أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات .

(١٠) مناهل القرآن : ٢٦٢/١ .

وأنت خبير بأن القرآن لو جمع في مصحف أو مصاحف والحال على ما شرحنا لكان عرضة لتغيير الصحف أو المصاحف كلما وقع نسخ ، أو حدث سبب (١١) .

ب- أما كتابة القرآن الكريم في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في صحف مرتب الآيات أيضاً ، مقتصراً فيه على ما لم تنسخ تلاوته مستوثقاً له بالتواتر والإجماع ؛ وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعاً ومرتباً ، خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفاظه .

ج- وأما كتابة القرآن الكريم في عهد عثمان – رضي الله عنه – فقد كان عبارة عن نقل ما في تلك الصحف في مصحف واحد إمام ، واستنساخ مصاحف منه ترسل إلى الآفاق الإسلامية ملاحظاً فيها تلك المزايا السالف ذكرها مع ترتيب سوره وآياته جميعاً ، وكان الغرض منه إطفاء الفتنة التي اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن ، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم ، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل (١٢) ، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) .

(يتبع)

---

(١١) المرجع السابق : ٢٤٨/١ .

(١٢) نفس المرجع : ٢٦٢/١ ، ٢٦٣ .

(١٣) سورة يونس : من الآية/٦٤ .

❖❖❖

هل سعدت البشرية في ظل المدنية الحديثة ؟!

بقلم : الأستاذ الدكتور غريب جمعة
(جلة – المملكة العربية السعودية)

هذا سؤال نطرحه – أخي القارئ – ونحن لا نقف من المدنية الحديثة موقف الخائف من المحذور ، الفاقد الحسير ، الحاقد الضرير .. كلا ..

بل نقف منها موقف الشجاع الجسور ، الواجد القدير ، الناقد البصير .

إن أحداً لا يستطيع أن يغض الطرف عما حققته هذه المدنية من مكتشفات ومخترعات أدهشت العقول في مجالات الحياة المتعددة .

والمدنية كما هو معروف ، ثمرة من ثمار العلم ، والعلم ثمرة من ثمار العقل ، والعقل هبة من الله عز وجل لعباده ، يقول تعالى :

﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل الآية/٧٨) .

ولكن المدنية الحديثة ، مدنية كفور !! ترى أن هذه الثورة العلمية تعود إلى جهد البشر ، ناسية تماماً رب البشر تبارك وتعالى ، لذلك كانت جاحدة للدين متمردة عليه .

أو في أحسن الأحوال لا مكان له إلا في المعابد والمتاحف لسويعات قليلة ، في أحد الأيام حتى قال الصحفي الأمريكي الشهير "جون جنز" .

إن الإنجليز إنما يعبدون بنك انجلترا ستة أيام في الأسبوع

ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة .

نعم .. لا يغيب عنا نظرة بعض عقلاء وعلماء الغربيين إلى الدين نظرة موضوعية تقوم على الاعتراف بوجود قوة كبرى – من وجهة نظرهم – تدبر هذا الكون الكبير جداً ، والذي يستحيل أن يكون قد أوجد نفسه أو كانت المصادفة سبباً لوجوده ، ولكن أقوالهم تشبه نفخة في رماد أو صرخة في واد بسبب الضجيج الإعلامي الجبار المضاد لآرائهم .

وماذا كانت نتيجة الجمود للدين والتمرد عليه ؟:

لقد أصبح الإنسان يمشي كالمذعور ، ويتلفت يميناً وشمالاً كالخائف ، ويفكر كالشارد ويعربد كالسكير ، ويتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام ، يعيش ليومه ولا يعرف شيئاً عن غده ، بل هو عنه في ذهول ، يندفع وراء شهواته اندفاع وحش كاسر هارب ، ونعم هارب ، ولكن من نفسه القلقه الخاوية الحائرة التي بين جنبيه ، لأنها لا تأوي إلى ركن شديد من العقيدة ، يطمئن قلقها ، ويملأ خواءها ويهدي حيرتها ، بل قد يؤثر الهرب في بعض الأحيان من الحياة كلها بالانتحار الفردي أو الجماعي بعد ما استبدت به شدة اليأس وخيبة الأمل وسواد المصير .

لقد حولت المدنية الحديثة الإنسان إلى ترس في آلة كبيرة هي المجتمع أو المؤسسة ، كل همها أن تزيد معدلات الانتاج حتى تحقق أفضل عائد من الأرباح ، ولا مانع في سبيل ذلك من أن تموت العواطف ، فتقسو القلوب ، وتتلبد المشاعر ، وتتقطع الروابط والصلات بين أبناء المجتمع الواحد فيتنكر الآباء للأبناء ويجهل الأبناء الآباء .. والكل قد اتخذ إلهه هواه ولا شأن له بمن عداه .

لقد اكتوت البشرية في ظل هذه المدنية بنيران حربين كونيتين (عالميتين) وها هي ذي تكاد تقف على شفا حرب ثالثة ، إلا أن يشاء ربي شيئاً والغيب لله وحده تبارك وتعالى ، وهي فزعة أشد ما يكون الفزع ، قلقة أشد ما يكون القلق ، وكيف لا تكون على هذه الحال الرعيبة ، وهي تعرف أن أحد الرؤساء من ذوي الرؤوس النووية قد يكرع من خمر السلطة والتسلط حتى الثمالة ، وتدق طبول الخراب من حوله فيرقص على أنغامها منتشياً ، وعندئذ يحلو له الانتحار النووي على طريقة القائل :

أنا الغريق فما خوفي من البلل .

وعندئذ يعيش العالم مأساة حرب ثالثة لا يعلم خطرها وضررها إلا الله ، ولا تحسبن – أخي القارئ – أن هذا منا محض افتراء على هذه المدنية بما هي منه براء ، ولكنا لو أردنا أن ندلل على ذلك بشهادة أبنائها أنفسهم لطال بنا المقام ولكنا نكتفي بشهادة اثنين من أبنائها الذين عاشوها وعرفوها معرفة الخبير بما يقول .

الأول :

هو الدكتور "الكسيس كاريل" حيث يقول في كتابه القيم : "الإنسان ذلك المجهول" : "يظهر أن الحضارة العصرية لا تستطيع أن تنتج رجالاً يملكون الابتكار والذكاء والجرأة ، ففي كل قطر تقريباً يرى الإنسان في الطبقة التي تباشر إدارة الأمور ، وتملك زمام البلاد انحطاطاً في الاستعداد الفكري والخلقي ، إننا نلاحظ أن الحضارة الغربية لم تحقق الآمال الكبيرة التي عقدتها عليها الإنسانية ، وإنها أخفقت في تنشئة الرجال الذين يملكون الذكاء والإقدام ، الذي يسير بالحضارة على الشارع الخطر الذي تتعثر عليه ، إن الأفراد والإنسانية لم تتقدم بتلك

ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة .

نعم .. لا يغيب عنا نظرة بعض عقلاء وعلماء الغربيين إلى الدين نظرة موضوعية تقوم على الاعتراف بوجود قوة كبرى – من وجهة نظرهم – تدبر هذا الكون الكبير جداً ، والذي يستحيل أن يكون قد أوجد نفسه أو كانت المصادفة سبباً لوجوده ، ولكن أقوالهم تشبه نفخة في رماد أو صرخة في واد بسبب الضجيج الإعلامي الجبار المضاد لآرائهم .

وماذا كانت نتيجة الجمود للدين والتمرد عليه ؟:

لقد أصبح الإنسان يمشي كالمذعور ، ويتلفت يميناً وشمالاً كالخائف ، ويفكر كالشارد ويعربد كالسكير ، ويتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام ، يعيش ليومه ولا يعرف شيئاً عن غده ، بل هو عنه في ذهول ، يندفع وراء شهواته اندفاع وحش كاسر هارب ، ونعم هارب ، ولكن من نفسه القلقه الخاوية الحائرة التي بين جنبيه ، لأنها لا تأوي إلى ركن شديد من العقيدة ، يطمئن قلقها ، ويملأ خواءها ويهدي حيرتها ، بل قد يؤثر الهرب في بعض الأحيان من الحياة كلها بالانتحار الفردي أو الجماعي بعد ما استبدت به شدة اليأس وخيبة الأمل وسواد المصير .

لقد حولت المدنية الحديثة الإنسان إلى ترس في آلة كبيرة هي المجتمع أو المؤسسة ، كل همها أن تزيد معدلات الانتاج حتى تحقق أفضل عائد من الأرباح ، ولا مانع في سبيل ذلك من أن تموت العواطف ، فتقسو القلوب ، وتتلبد المشاعر ، وتتقطع الروابط والصلات بين أبناء المجتمع الواحد فيتنكر الآباء للأبناء ويجهل الأبناء الآباء .. والكل قد اتخذ إلهه هواه ولا شأن له بمن عداه .

لقد اكتوت البشرية في ظل هذه المدنية بنيران حربين كونيتين (عالميتين) وها هي ذي تكاد تقف على شفا حرب ثالثة ، إلا أن يشاء ربي شيئاً والغيب لله وحده تبارك وتعالى ، وهي فزعة أشد ما يكون الفزع ، قلقة أشد ما يكون القلق ، وكيف لا تكون على هذه الحال الرعيبة ، وهي تعرف أن أحد الرؤساء من ذوي الرؤوس النووية قد يكرع من خمر السلطة والتسلط حتى الثمالة ، وتدق طبول الخراب من حوله فيرقص على أنغامها منتشياً ، وعندئذ يحلو له الانتحار النووي على طريقة القائل :

أنا الغريق فما خوفي من البلل .

وعندئذ يعيش العالم مأساة حرب ثالثة لا يعلم خطرها وضررها إلا الله ، ولا تحسبن – أخي القارئ – أن هذا منا محض افتراء على هذه المدنية بما هي منه براء ، ولكنا لو أردنا أن ندلل على ذلك بشهادة أبنائها أنفسهم لطال بنا المقام ولكنا نكتفي بشهادة اثنين من أبنائها الذين عاشوها وعرفوها معرفة الخبير بما يقول .

الأول :

هو الدكتور "الكسيس كاريل" حيث يقول في كتابه القيم : "الإنسان ذلك المجهول" : "يظهر أن الحضارة العصرية لا تستطيع أن تنتج رجالاً يملكون الابتكار والذكاء والجرأة ، ففي كل قطر تقريباً يرى الإنسان في الطبقة التي تباشر إدارة الأمور ، وتملك زمام البلاد انحطاطاً في الاستعداد الفكري والخلقي ، إننا نلاحظ أن الحضارة الغربية لم تحقق الآمال الكبيرة التي عقدتها عليها الإنسانية ، وإنها أخفقت في تنشئة الرجال الذين يملكون الذكاء والإقدام ، الذي يسير بالحضارة على الشارع الخطر الذي تتعثر عليه ، إن الأفراد والإنسانية لم تتقدم بتلك

السرعة ، التي تقدمت بها المؤسسات التي نبعت من عقولها ، إن علمنا بالحياة وكيف يجب أن يعيش الإنسان متأخر جداً عن علمنا بالماديات وهذا التأخير هو الذي جنى علينا" (١) .

الثاني :

العالم النمسوي "ليوبولد فايس" الذي شرح الله صدره للإسلام وتسمى باسم : "محمد أسد" يقول ذلك الرجل مصوراً حال هذه المدنية .

"لا شك أنه لا يزال في الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب ديني ويبذلون جهدهم في تطبيق عقائدهم ، بروح حضارتهم ولكنهم شواذ ، إن الرجل الصادي في أوربا ديمقراطيا كان أو فاشيا ، رأسماليا كان أو اشتراكيا ، عاملا باليد أو رجلا فكريا إنما يعرف ديناً واحداً ، وهو عبادة الرقي المادي والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل ، وبالتعبير الدارج حرة مطلقة من قيود الطبيعة ، أما كنائس هذا الدين فهي المصانع الضخمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية ، ودور الرقص ، ومراكز توليد الكهرباء ، وأماكهنتهم فهم رؤساء الصيارف ، والمهندسون ، والممثلات وكواكب السينما وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون .

والنتيجة التي لامفر منها هي ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح ، والاستعدادات الحربية ، مستعدة لإبادة بعضها بعضاً إذا تصادمت مصالحها وأهواؤها .

أما في جانب الحضارة فنتيجتها ظهور نوع من البشر تنحصر فلسفته الأخلاقية في الفائدة العملية ويكون أسمى فارق لديه بين

(١) الكسيس كاربل ، الإنسان ذلك المجهول ص/ ١٤١ .

الخير والشر ، هو النجاح المادي لا غير" (٢) .

ثم يقول في موضع آخر مبيناً سبب دخوله في الإسلام :

"لقد تمكنت من المقارنة بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التي تسود العالم الإسلامي في أيامنا ، وهذه الدراسات والمقارنات خلقت فيّ العقيدة الراسخة بأن الإسلام من جهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين – أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر ، وهكذا تجمعت رغباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثته من جديد" (٣) .

ولعل في شهادة هذين الرجلين غناءً عن كثير من النقول والاستشهادات .

نعود إلى السؤال الذي جعلناه عنواناً لهذه الكلمة :

هل سعدت البشرية في ظل المدنية الحديثة ؟

وأترك الجواب لفطنتك أخي القارئ !

ثم نتبع هذا السؤال بسؤال آخر ألا هو :

ماذا قدمت المدنية الحديثة لملايين الجوعى والمرضى والمشردين والمشوهين من ضحايا الحروب التي أوقد نارها الشيطان اللعين .. خاصة في أفريقيا وآسيا ؟

هذه الملايين التي تسعى هيئات ومؤسسات البر والإحسان والإغاثة بكل طاقاتها في العالم العربي والإسلامي لإسعافها وتلبية احتياجاتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

ونسأل الله أن يجعل ذلك في صحائف حسنات العاملين في هذه الهيئات سواء من كان منهم معلوماً أو مجهولاً ، فحسب الجميع أن الله يسمع ويرى .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ، تأليف محمد أسد ص/ ٤٧ .

(٣) المرجع السابق ص/ ١٦ .

الدعوة الإسلامية :

رجال صدقوا :

البراء بن مالك

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

واحد من فضلاء الصحابة ، ومن السابقين للإسلام ، أنصاري خزرجي ، إنه البراء بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي ، وهو أخ أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ ، من أبيه وأمه ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، بدءً بأحد والخندق ، ما عدا بدر ، وكان من أشجع الرجال ، مقداماً لا يهاب ولا يتوانى ، وعرف ذلك عنه ، حتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان يكتب لولاته ، أن لا تستعملوا البراء على جيش ، من جيوش المسلمين ، فإنه مهلكة من المهالك ، يقدم بهم .

وهذه الخصلة عرفها عنه الصحابة ، من مواقف عديدة ، في كل معركة تمرّ أو مشاركة حربية يكون البراء ، قد حضرها ، من تلك المواقف ، ما رصد عنه تاريخياً ، في معاركه مع رسول الله ﷺ ، وفي حروب الردة .

ففي معركة اليمامة ، التي هي من حروب الردة ، بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لما تولى إمرة المؤمنين ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ، جيشاً بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، لقتال مسيلمة الكذاب ، الذي ادعى النبوة .

ولما اشتد القتال بين المسلمين وبني حنيفة ، على الحديقة التي فيها مسيلمة ، كان البراء بن مالك بشجاعته المعهودة ، هو الفدائي الذي حسم المعركة ، عند ما قال : يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم ، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار ، وهو سوء

حديقة مسيلمة التي فيها جيشه وسكنه وجميع قوته - وهي بمثابة حصن عظيم - اقتحم رضي الله عنه هذا السور ، وألقى بنفسه ، في وسط الأعداء وحيداً ، معتمداً على الله ، ثم على قوة إيمانه ، وشجاعته المتناهية ، لأنه لا يهاب الأعداء مهما كثر عددهم .

واتجه إلى باب الحصن ليفتح لأصحابه ، حتى يدخلوا ولكن القوم ، تكاثروا عليه ، وقاتلوه فقتل منهم عشرة ، وجرح منهم أكثر من ذلك ، حتى تمكن من فتح الباب للمسلمين .

فدخل المسلمون متدافعين لتجدته ، ولمناجزة الأعداء ، فقتل الله مسيلمة وجمعاً كثيراً من قومه ، حتى استسلموا وبعد أن انجلت المعركة ، وجد المسلمون في البراء بن مالك بضعاً وثمانين جراحة ، ما بين رمية وضربة .

وبعد ان انتصر المسلمون ، وقتل عدوّ الله زعيمهم مسيلمة الكذاب ، أقام خالد بن الوليد بمن مع من المسلمين ، شهراً كاملاً حتى برئ البراء بن مالك بن النضر من جراحة رضي الله عنه .

وكان البراء بن مالك ، مع شجاعته وعبادته ، قد أعطاه الله صوتاً حسناً ، فكان من الحداة المشهورين ، وفي أسفاره مع رسول الله ﷺ ، في الغزوات كان البراء يحدو بالنبي ﷺ ، فهو حادي الرجال ، و أنجشة حادي النساء .

والحادي هو الذي يتغنى ببعض الأشعار ، بصوت رخيم جميل ، وبنغمات معينة ، تتمشى مع خطوات الإبل في الليل ، لكي تتشجع الإبل على صوته بالمسير ، ويبث الحماسة والنخوة ، في من يحدو لهم من الرجال ، ويطرد عنهم النعاس .

ومع شجاعته ، وقوة بأسه رضي الله عنه ، كان في مظهره ضعيفاً متواضعاً ، محباً للجهاد في سبيل الله .

يقول عنه الزركلي في موسوعته ، الأعلام : قتل مئة شخص مبارزة ، عدا من قتل في المعارك .

وقد ذكر ابن الجوزي : أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه ، فيه رجال من المشركين ، فجلس البراء بن مالك على ترس ، وقال : أرفعوني برماحكم ، فألقوني عليهم ، ففعلوا وأدركوه وقد قتل منهم عشرة .

وفي موقعة : "تستر" ، وهي أعظم مدينة "بخوزستان" اليوم ، كما ذكر ياقوت الحموي اللغوي في معجمه وبها سور ، ويقال : إن هذا أول سور بني على المدن .

قال ابن المقفع : هو أول سور وضع في الأرض ، بعد الطوفان ، ولا يدرى من بناه ، وفيها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه حيث قتل في الغزوة التي جعل الله ، سبب فتحها دعاء البراء ابن مالك رضي الله عنه .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه ، حديثاً عن رسول الله ﷺ ، قال : "رب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله عز وجل لأبره ، منهم البراء بن مالك" .

وقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه "تستر" بعد فتحها ، من أرض البصرة ، لقربها منها ، أي جعلها تابعة إدارياً لها ، وعن فتح هذه المدينة ، ذكر البلاذري : أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه لما فتح سرّمد سارمنها إلى تستر ، وبها شوكة العدو ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يطلب المدد ، فكتب عمر إلى عمار بن ياسر يأمره بالمسير إليه ، في أهل الكوفة ، فقدم عمار جرير بن عبد الله البجلي ، وسار حتى أتى تستر ، وكان على ميمنة أبي موسى : البراء بن مالك ، أخ أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي ،

وعلى الخيل أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعلى ميمنة عمار البراء بن عازب الأنصارى ، وعلى ميسرته : حذيفة بن اليمان العبسي ، وعلى خيله : قرظة بن كعب الأنصارى ، وعلى رحاله : النعمان بن مقرن المزني ، فقاتلهم أهل تستر قتالاً شديداً .

قال ابن الأثير في الإصابة فلما كان يوم تستر ، من بلاد فارس ، انكشف الناس ، فقال المسلمون ، يا براء بن مالك ، أقسم على ربك ، فقال : رضي الله عنه ، أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ، وألحقتني نبيك ﷺ ، فحمل وحمل الناس معه ، فقتل البراء ، مرزبان الزأرة "المزربان الرئيس المقدم ، والزأرة : الأجمة ، سميت بها لزئير الأسد فيها" ، ومرزبان الزأرة من عظماء الفرس ، وأخذ سلبه ، فانهزم الفرس .

وعلى باب تستر : ضار بهم البراء بن مالك ضرباً شديداً ، حتى فتح باب الحصن ودخله المسلمون ، وقد قتل البراء رضي الله عنه على الباب ، قيل قتله المرزبان ، الذي قتل بعد ذلك في المدينة ، قتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، متهماً إياه بتحريض الغلام ، يعني بذلك : المجوسي – أبو لؤلؤ – على قتل عمر ، أخذاً بثأر عمر ، وقيل : إن مقتل البراء ، كان في سنة عشرين في قول الواقدي ، وقيل سنة "١٩" تسع عشرة ، وقيل سنة "٢٣" ثلاث وعشرين ، والله أعلم .

وهذه الدعوة المستجابة ، تكون لدى العارفين بالله سبحانه حقيقة ، الممتثلين أوامره ، الزاهدين في الدنيا ، الذين لا يرون أن يعرف الناس عنهم ذلك – وقد عرفت في أناس كثيرين كأويس القرني ، ومحمد بن واسع وسعيد بن جبير وغيرهم ، ممن يزهدون في معرفة الناس عنهم ، ما أعطاهم الله من الكرامة ، وإذا عرفوا دعوا الله أن يقتلوا شهداء ، وتأتي سيرهم في التاريخ ،

وكتب التراجم .

وهم في الغالب يبتعدون عن الناس ، إذا عرف عنهم الدعوات المستجابة ، خوفاً من الفتنة ، من ذلك ما ذكر ابن عساكر ، رواية عن محمد بن المنكدر ، قال : أمحلنا بالمدينة إمحالاً شديداً ، وتوالت سنون ، وإني لفي المسجد ، بعد شطر الليل ، وليس في السماء سحابة ، وأنا في مقدم المسجد ، فدخل أمامي رجل متقنع برداء عليه ، واسمعه يلح في الدعاء ، إلى أن سمعته يقول : أقسمت عليك أي رب قسماً ، ويردده .

فما زال يردد هذا القسم : أقسم عليك أي رب من ساعتي هذه ، أن تغيث المسلمين ، وأن تفرج عنهم .

قال : فو الله إن مشينا ، حتى رأيت السحاب يتأليف ، وما رأينا قبل ذلك في السماء قزعة ولا شيئاً ، ثم مطرت فسحت فكانت السماء عزالى ، وأودع مطراً ما رأيته قط ، ولا مثله .

فأسمعه يقول : أي رب لا هدم فيه ولا غرق ، ولا ملأ فيه ولا محق .

قال : تم سلم الإمام من الصبح ، وتقنع الرجل منصرفاً .

وتبعته حتى جاء زقاق اللبادين ، فدخل في مشربة له ، فلما أصبحت سألت عنه ، قالوا : هذا زياد النجار ، هذا رجل ليس له فراش ، إنما يكابد الليل صلاة ودعاء ، وهو من الدعائين ، وكل عمل يعمله يخفيه جهده ، فذكرت قول النبي ﷺ : "رب ذي طمرين خفي ، لو أقسم على الله لأبره" .

فلما سبحت أتيته ، فإذا أنا اسمع نجراً في بيته ، فسلمت قلت : أأدخل ؟ ، قال : أدخل فإذا هو ينجر أقداحاً ، يعملها ، فقلت : كيف أصبحت اصلحك الله – فاستشهرها وأعظمها مني ، فلما رأيت ذلك ، قلت : سمعت سمعت إقسامك البارحة على الله ، يا أخي هل في نفقة تعينك عن هذا ، وتفرغك ، لما تريد من

الآخرة ، قال : لا – ولا يمكن غير هذا ، ولا تذكرني لأحد ، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ، ولا تأتني يا ابن المنكدر ، فإنك أن تأتني شهرتني للناس .

فقلت : إني أحب أن ألقاك ، قال : القني في المسجد .

وكان فارسياً ، فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد ، حتى مات الرجل ، قال : ثم انتقل من تلك الدار ، ولم ير أين ذهب ، فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر ، أخرج عنا الرجل الصالح .

وكان يقول : إن الله ليصلح بصلاح الرجل الصالح ولده ، وولد ولده ، وداره حتى يصل إلى الدويرات حوله ، ما يزلون في حفظ الله .

وحدث محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال : استلقى البراء بن مالك ، على ظهره ، ثم ترنم فقال له أنس ، أي أخي ، فاستوى جالساً فقال : أتراني أموت على فراشي ، وقد قتلت مائة من المشركين ، مبارزة سوى من شاركت في قتله .

وعن صوته الحسن ، ورجزه برسول ﷺ ، حيث يستمع له الرسول الكريم ، ويستأنس له ، يقول أخوه أنس بن مالك رضي الله عنه : كان البراء بن مالك رجلاً حسن الصوت ، فكان يرجز رسول الله ، فبينا هو يرجز برسول الله ﷺ ، في بعض أسفاره ، إذ قارب النساء ، قال رسول الله له : "إياك والقوارير" "إياك والقوارير" مرتين مؤكداً عليه ذلك .

ولرسول الله ﷺ في هذا نظرة شرعية ، شبيهة بوصيته عليه الصلاة والسلام ، لأخيه أنس بن مالك ، عند ما بلغ الحلم ، فقال له : لا تدخل على النساء ، إلا مستأذناً ، لأن أنساً ، كان خادماً لرسول الله ﷺ .

❖❖❖

مفهوم التوسل وحقيقته !

بقلم : الأستاذ الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل
(المدرس بجامعة الإمام بالرياض)

❖ الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فإن موضوع التوسل موضوع مهم ، له أثره الجلي في توحيد الله بالعبادة ، الذي هو توحيد الألوهية ؛ لأن التوسل المشروع إيمان وتوحيد ، وضده المحرم : إما خارم للإيمان أو قادح في كماله الواجب ، فإذاً جلالة المسألة أثرها وخطرها ، ورغبة من الإخوان في جمع مسائلها لخصت منها ما يلي :

★- **المراد بالتوسل :** ويراد به عدة أمور :

١- التقرب إلى الله تعالى بطاعته بفعل أمره واجتناب نهيه ؛ لأمره سبحانه بذلك في آية المائدة : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ (المائدة الآية/٣٥) .

٢- التوسل هو طلب الدعاء والشفاعة للمتوسل به ، كفعل الصحابة مع النبي ﷺ في حياته ، وهذان النوعان متفق بين المسلمين مشروعيتهما والتوسل بهما .

٣- الإقسام على الله بالمتوسل به نحو اللهم بوليك الفلاني اغفر لي .

٤- سؤال الله بمخلوق من المخلوقين أو بجاهه أو حقه ولو كان نبياً مرسلاً أو ملكاً مقربا ، وكلا النوعين الأخيرين محرمان وممنوعان .

٥- ويراد به معناً خاصاً وهو : الوسيلة هي منزلة خاصة بالنبي

ﷺ لا تنبغي إلا لعبد واحد من عباد الله ، كما دل عليه حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الدعاء عقب الآذان .

★ **أنواع التوسل المحرم :** وهي أنواع التوسل المبتدعة ، التي هي ذرائع يتوصل بها إلى الشرك بالله ، وهي أنواع منها :

١- **الإقسام على الله بالمتوسل به** وهو خلق من خلقه نحو : إلهنا بنبيك انصرنا ، وهو محرم للآتي :

أ- أن الإقسام حلف ، وهو لا يجوز إلا بالله أو بأسمائه وصفاته ، لما في الصحيحين عن عمر مرفوعاً : "إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" ، ولحديث ابن عمر مرفوعاً : "من حلف بغير الله فقد أشرك" رواه أحمد وبعض أهل السنن ، والحلف بغير الله دائر بين الشرك الأصغر والأكبر ، ويكون أكبر إن قصد تعظيم المحلوف به تعظيم عبادة .

ب- أن الإقسام بالمخلوق على مخلوق آخر لا يجوز ولا يليق ، فلأن لا يجوز الإقسام بمخلوق على الله من باب أولى وأحرى .

ج- أنه بدعة ، لم يرد عليه أمر الله ، ولا أمر رسوله ﷺ ، كما صح في الصحيحين من حديث عائشة مرفوعاً : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ، وفي مسلم : "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" .

٢- **التوسل إلى الله بذات المتوسل به** سواء كان حياً أو ميتاً ، حاضراً أو غائباً نحو : اللهم بذات نبيك رحمنا .

٣- **التوسل إلى الله بجاه المتوسل به أو شرفه أو منزلته أو قدره أو حقه عند الله** ، نحو : اللهم بجاه نبيك أو بمنزلة وليك فلان أو بحق فلان أو بقدره عندك اقض حاجتي .

★ **كلا النوعين الآخرين محرمان للآتي :**

أ- أنها توسلات بدعية ، وعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ،

فلا يجوز لنا أن نتعبد ربنا بما لم يشرع ؛ لأنه مردود غير مقبول .

ب- لو كانا مشروعين لفعلهما سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، ولتسابقوا إليهما مع حرصهم على كل خير ، فلما لم يفعلوهما دل على بدعيتهما ، هذا مع وجود سبب ذلك في حياتهم كما في توسل الصحابة بالعباس من دون النبي ﷺ عام الرمادة .

ج- أن جاه الصالح وقدره وحقه عند الله عز وجل ليس كجاه المخلوق وقدره ومنزلته عند مخلوق مثله ، حتى يتوصل بذلك لأن يكون لجاهه وقدره وحقه أثر على الله .

د- أنه تحكم وسوء أدب على الله ، وإلا فمن أين نعلم أن جاه أو ذات فلان لها أثر على الله أو تستوجب عليه شيئاً ؟

هـ- أن ليس للمخلوق على الله حق إلا ما أوجبه الله على نفسه ، وليس من ذلك ذوات الأنبياء والصالحين أو جاههم .

و- أنه لا مناسبة بين ذات الصالح وجاهه ومنزلته وبين طلب الدعاء والتوسل بذاته أو جاهه ؛ إذ تصح المناسبة لو دعا صاحب الجاه نفسه ربه ومولاه ليس إلا .

٣- **التوسل إلى الله بما لم يشرعه من البدع والمحدثات ،** فيتقرب بها إلى الله على أنها دين ، نحو التقرب إلى الله بإحياء الموالد وليالي المعراج والصلوات البدعية وأعياد الجاهلية .. إلخ بما يضاد التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة وهي على ما يأتي :

❖ وهو محرم أيضاً لبدعيته وكونه مردوداً كما في حديث عائشة السابق ، ومنهي عنه ومحذر منه لحديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه : "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة" رواه أبو داؤد والترمذي وصححه .

★ أنواع التوسل المشروع :

(١) التوسل إلى الله به وبأسمائه وصفاته ، كما دل عليه ندبه سبحانه إلى ذلك بقوله في سورة الأعراف : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف الآية/١٨٠) ، ويدل عليه أيضاً ما في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ علمها تدعو في ليلة القدر : "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" ، فقد أمرها النبي ﷺ هاهنا أن تتوسل إلى الله باسمه العفو ، ونظائر هذا في السنة كثير ، كنصوص التوسل إلى الله باسمه الأعظم ، وغيرها .

(٢) **التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة** التي فعلها المتوسل قربة إلى مولاه ومعبوده كقوله تعالى في آخر سورة آل عمران : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران الآية/١٩٣) وكحديث سيد الاستغفار الذي خرجه البخاري عن شداد بن أوس يرفعه : " سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها في أول الليل موقناً بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي دخل الجنة" ، ففيها توسل إلى الله بالإيمان به وبرسوله وبتوحيده .

❖ وأشهر أدلة هذا النوع حديث ابن عمر في الثلاثة نفر الذين أطبق عليهم الغار فتوسلوا إلى الله بعملهم الصالح ففرج الله عنهم ، والحديث متفق عليه .

(٣) **التوسل إلى الله بدعاء الصالح في حياته لا بعد موته ،** وأجلى صوره ما كان الصحابة يفعلونه مع النبي ﷺ في حياته من التوسل إلى الله بدعائه لينصرهم كما في بدر ، وأن يُغيثهم الله بالمطر كما في الاستسقاء وفي يوم الجمعة ، وغيره :

❖ وكما كانوا يتوسلون إلى الله بصالحيهم بعد موت النبي ﷺ

كما حصل لهم عام الرمادة في عهد عمر من الجدب فخرج بهم إلى المصلى وقال : "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قم يا عباس فادع الله لنا" أخرجه البخاري ومع هذه الحال لم يتوسلوا بنبيهم ولم يذهبوا إلى قبره ليطلبوا توسله ولا دعاءه ، وما ذاك إلا لتحقيق توحيدهم ، وكمال معرفتهم .

❖ وتوسل عمر بالعباس كان بمشهد من كبار الصحابة وصغارهم من غير نكير ، حتى عد من أقوى الإجماعات التقريرية .

★ التوسل بالنبي ﷺ :

❖ حيث يرد عليه النوعان السابقان ، ولذا التوسل بالنبي ﷺ أنموذج تطبيقي للتوسل المشروع والممنوع من خلال الصور التالية :

١) التوسل بطاعته والإيمان به ﷺ نافع ومشروع ؛ بل هو في الحقيقة أصل الإيمان به ، من أنكره فقد كفر ولا شك .

٢) التوسل بدعائه في حياته ، فهو نافع ومشروع أيضاً كما كان يفعله الصحابة معه في حياته ، وفيه أدلة كثيرة مضى طرف منها .

٣) التوسل بشفاعته يوم القيامة ، وهو جائز بشرطي الشفاعة :

- أذن الرحمن سبحانه للشافع أن يشفع في المشفوع فيه .
- رضاه سبحانه عنهما ؛ لقوله تعالى : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم الآية/٢٦) .

٤) التوسل بذات الرسول ﷺ على الله .

٥) التوسل بجاهه أو منزلته أو قدره أو حقه على الله .

٦) التوسل بالإقسام بالرسول على الله .

★ وكل الأنواع الثلاثة الأخيرة لا تجوز فهي ومن التوسل الممنوع لأنها دائرة بين البدعة والشرك بالنبي ﷺ كما في التوسل بذاته

وبدعائه بعد موته .

❖ أدلة مجيزي التوسل بذات النبي ﷺ أو بدعائه بعد موته : وذلك أنهم يكررون أدلة يحتجون بها على ذلك ، وهي على نوعين :

أ- نوع صحيح الثبوت ، لكن لا يدل على مرادهم ومبتغاهم كاستدلالهم بحديث الأعمى ، إذ غاية ما يدل عليه توسله بدعاء النبي ﷺ في حياته ، كما في صحيح ألفاظه .

ب- ونوع من الأدلة واهية الثبوت يغلب عليها الوضع أو شدة الضعف والنكارة ، نحو :

(١) خبر "إذا سألتم الله فاسألوا بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم" فهو حديث كذب موضوع كما في "الفتاوى ١٢٦/٢٧ و ٣٣٥/٢٤ و ٣١٩/١" و"الاقتضاء ٧٨٣/٢" و "الرد على البكري ١١ و٤٥" .

(٢) خبر أبي بكر أنه اشتكى فأوصاه النبي ﷺ بقول : "قل اللهم إني أسألك بمحمد نبيك ، وبإبراهيم خليلك ، وبموسى نجيك ، وعيسى روحك وكلمتك" حديث متروك فيه متهم بالكذب "قاعدة في التوسل ٢٥٢/١" .

(٣) ما روي عن عمر موقوفاً ومرفوعاً أنه لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي" وهذا ليس له إسناد ، بل هو من جنس الإسرائيليات "قاعدة جليلة ٢٥٧/١" و "الرد على البكري ١١/٥" ونص على أنه كذب بصريح القرآن ، وأنه من الأحاديث الموضوعة في (ص/٦٠) .

(٤) ما روي عن ابن عباس أن يهود خيبر حين تقاتل غطفان تقول : "اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فيهزمونهم" أعله الشيخ ابن تيمية في "قاعدة جليلة ٢٩٩/١" بعبد الملك بن هارون وهو متروك ؛ بل كذاب .

(٥) حديث العتبي الأعرابي الذي جاء إلى قبر النبي ﷺ مستغفراً

ومستشفعاً ، وقال في قصيدته :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ❖ فطاب من طيبهن القاع والأكم

❖ روي بأسانيد مظلمة وواهية لا تقوم بها حجة وانظر [الصارم المنكي ٢٥٣] .

(٦) ما يروى "إذا تحيرتم في الأمور فاستغيشوا بأهل القبور" أو "فاستعينوا بأهل القبور" نص الشيخ على أنه كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء كما في "الفتاوى ٣٥٦/١" و "الفرقان ٢٩٣/١١" .

(٧) ما يروى عن ابن عباس مرفوعاً "من سره أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء .. اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولايسأل ، أسألك بحق محمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك" أسانيده مظلمة لا يثبت بها شيء وذكر فيها كذباً في "قاعدة جليلة ٢٥٩/١" .

❖ والمقصود هنا : أنه ليس في الباب حديث واحد مرفوع عن النبي ﷺ يعتمد عليه في شرعية التوسل بذاته أو جاهه أو دعائه بعد موته ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه ، بل المروي في ذلك إنما يعرف أهل المعرفة بالحديث أنه من الموضوعات : إما تعمداً من واضع ، وإما غلطاً منه ، وفي الباب آثار عن السلف أكثرها ضعيفة "قاعدة جليلة ٢٦١/١ ضمن الفتاوى" ، وفي الإشارة كفاية .

★ **هذا وأسأل الله** للجميع الهداية والعلم النافع والعمل الصالح المعصوم عن الضلالة آمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

❖❖❖

الطيب صالح : عبقري الرواية العربية

بقلم : الأستاذ الدكتور جمال الدين الفاروقي

انتقل إلى رحمة الله مؤخراً الروائي الشهير الطيب صالح من أبناء السودان ، الذي عاش المجتمع في آمالهم وآلامهم وشارك في صنع مجدهم واعتزازهم بذاتهم بعيداً عن الصيحات والصرخات التي تصك الأسماع ، وذلك بتفاؤله الذي يجسد أعماله الأدبية ورؤيته المستمدة من التجارب والحنكة ، كل هذا يجعله في طليعة الأدباء المعاصرين في العالم العربي .

كان من مواليد عام ١٩٢٩ بقرية مروي في المديرية الشمالية بالسودان ، تلقى تعليمه الابتدائي من مدرسة وادي سيدنا الثانوية العليا ، والتحق بكلية العلوم في الخرطوم ، ونال شهادة الشؤون الدولية من إنجلترا ، وقام بالتدريس ، ثم عمل مدة في الإذاعة البريطانية في قسمها العربي ، وشغل منصب ممثل اليونسكو في الخليج العربي ومقره دولة قطر .

شخصيته :

عاشر الطيب صالح مجتمعاً يرزح في براثن الاستعمار في مطلع القرن العشرين ، شهدت هذه الفترة صفوة من العلماء والقادة والمصلحين الذين عمدوا إلى بناء ما أفسده الاستعمار الغاشم ، من أمثال جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي وعبد الحميد بن باديس وعبد القادر الجزائري والشيخ محمد عبده وغيرهم كثير ، وكان لأعمالهم صدى واسع في الأوساط الأدبية والثقافية في القارة الآسيوية والإفريقية ، حيث نهض عدد من

الأدباء بتوجيه آثارهم الأدبية إلى إبراز واقع مجتمعاتهم وإيضاح صورتها الحقيقية للعالم ، والذود عن حقوقهم وإزالة التهمات اللاصقة بهم ، والطيب صالح كرس حياته في هذا المجال مما يزيد شخصيته شروقاً ورونقاً بين الأدباء المعاصرين .

وكان شخصية مبهرة في كتاباته ، مبهرة أيضاً في نزعاته الذاتية وأخلاقه يتميز بتواضع وببساطة ، قد لا يوجد عند العديد من الأدباء ، فيه سذاجة السودان ورقة النيل وغيرة المواطن العربي ، لا يبالي هل يحترمه الناس أم يحقرونه ، ويعتقد أن هناك رجالاً يستحقون الحفاوة والكرامة أكثر منه ، وهو بنفسه يعبر عن سذاجته قائلاً : "أنا الإنسان بسيط ، المتدينون يعتبرونني ماجنا ، والمعربدون يحسبونني متدينا ، أنا سوداني عادي ، ورأيي في النخبة السودانية أنهم أذكيا أغنياء" ومرة أجرت مجلة الوطن العربي حواراً معه ، وسجلت انطباعاتها به بكلماتها : "عند ما تجلس لتحاوره ، تشعر حينها أنك لا تجالس رجلاً عادياً ، بل موسوعة تمشي على قدمين ، فلا تمل عنده أحاديث الأدب ، وقضايا الشعر ، ولا يصيبك الضجر وهو يطارحك السياسة ، والرجل سياسي من الوزن الثقيل ، وإن كان لونه الأدبي قد طغى لدى متلقي المعرفة والثقافة" .

وقد ظهرت فيه بواكير الإبداع حين كان طالباً في مدرسة وادي سيدنا ، حين أقيمت حفلة تأبين على السيد مهاتما غاندي الذي اغتيل عام ١٩٤٨ ، وكان ممن نذر حياته لتحرير المستضعفين في العالم ، وقام بدوره كمدافع عن الهند والهنود بطريقة سلمية ، إلا أنها كانت تهز أركان الكيان الإنجليزي وقتئذ وكانت كلمات الطيب صالح عن مهاتما غاندي وقعت في

قلوب أقرانه موقع إعجاب وتقدير ، ومنذ ذلك اليوم وضع بصماته في درب الفكر .

وقد استلهم الطيب أفكاره من واقع المجتمع الذي عاشه ومن صفحات الأسطور الذي يقدم البطولات بحماستهم وحيويتهم ، وألبسه أسلوباً ساحراً مليئنا بالمعنى المؤثر ، يتطرق فيه إلى التراث الشعبي السوداني والعربي ، ويستطيع الملاحظ أن يجد في طيات رواياته عنصر الحنين إلى الوطن الذي صار هو الآخر في تميز أعماله الأدبية وتحبيبها إلى القراء ، وقد أتيحت له الفرصة منذ طفولته أن يستمع إلى مثل هذه الأساطير وهو يقول : إنني كنت منذ صغري تشحذ خيالي حكايات الماضي ، وأذهب إلى جدي فيحدثني عن الحياة قبل أربعين عاماً ، قبل خمسين عاماً ، فيقوى إحساسي ، وهذه الحكايات في رأيه قبس من القيم والأخلاقيات التي تركها السابقون لتضيئ للاحقين طريقهم إلى الأمام .

ومن جانب آخر تتميز شخصيته بتكريس جهوده للكشف عن واقع الحياة السودانية، والسودان أكبر الدول العربية من حيث المساحة ، وهي مترامية الأطراف وارفة الجمال الطبيعي يرويها ماء النيل ، وكانت محاولاته ناجحة تماماً في كشف النقاب عن أصول الحياة السودانية وعن ثقافتها الضاربة في القدم ، ويوضح أن السوداني يعتز بهذه الثقافة أكثر من اعتزاز الغرب بثقافتهم ، وينقد بحروف لاذعة الهجمات الشرسة التي قام بها الاستعمار لهدم بنائها التقليدي ، ولم تتسرع السودان وراء مزاعم التحديث والتطور الحضاري دون تصير .

وتتمثل أفكاره الإصلاحية الوطنية في رؤيته الفلسفية وهو يقول : لا بد لإصلاح المجتمع أن يعد الأساس السليم للتحديث قبل

أن يخطو إليه مستوحيا من تاريخ المجتمع ونظمه التقليدية وموافقهم في الحياة .

التأثر بالقضايا الوطنية :

إن المواطنة هي النزعة الأساسية التي يشعر بها كل مواطن بلاده ، وهي منبثقة من صميم القلب مثل شعوره نحو أمه التي ولدته ، والطيب صالح ينفخ في قلوب المواطنين بالسودان هذه الروح المقدسة التي تنهضهم إلى كل ما له شأن في رقيهم وازدهارهم وهو يقول : "إن السودان وهبكم يا شعب السودان بلداً طيباً وارف الظلال ، متعدد الحسنات والفضائل ، ولكنكم إذا أسأتم استثماره ، حق عليكم ما حق على الشعوب الأخرى ، سيبدلكم الله بشعب آخر يحسن الاستثمار ويحسن الاختيار" .

أعماله :

يعتبر الطيب من أكثر الروائيين أثراً من بين كتاب وأدباء عالم الدول الثالث ، وقد بدأ الكتابة منذ أواخر سنة ١٩٥٠م ، وخلف عدداً من الروايات العربية ذات الجودة العالية كان لها وقع طيب في نفوس القراء ، وهي كلها تحكي لنا الصور الرائعة من مظاهر حياة القرية التي ألف بها ، وهي القرية الواقعة على منحنى النيل ، ومنها وجد أبطال الروايات ، يمثلون رؤاه وأفكاره ، والطيب رجل يؤمن بالتعددية أو التنوع في الكتابة والإبداع ، وكل رواياته مزيجة من الأفكار المتضادة والعواطف المتباينة ، ومن هذه الروايات : عرس الزين ، وموسم الهجرة إلى الشمال ، وبندر شاه ، ومريود ، نخلة على الجدول ، دومة ود حامد ، وترجم بعضها إلى ثلاثين لغة عالمية ، وما كتبه الطيب وما كتب عنه يناهز المائة باللغتين العربية والإنجليزية ، وقد فاز بجائزة ملتقى

القاهرة للإبداع الروائي عام ٢٠٠٧ .

ويبدو من إبداعه الروائي أنه كان شديد التأثر بعمالقة الأدب العرب والإنجليزي قديماً وحديثاً ، من أمثال طه حسين وأحمد زكي ومصطفى صادق الرافعي والمازني وكلهم من مصر ، وجمال محمد والمرحوم أحمد الطيب من السودان ومحمود السعدي التونسي ، كما أنه شديد الإعجاب بروايات شكسبير وجوناثان سويفت وكئراد وفوكئر ، وقد نسج الطيب لحمة رواياته وسداها من هذا التأثر والإعجاب .

موسم الهجرة إلى الشمال :

وهي أبرز أعماله الروائية التي خلدت ذكره ، تم اختيارها في ضمن أفضل مائة رواية في التاريخ الإنساني بإجماع مائة كاتب من أربع وخمسين دولة ،تبرز فيها شعوره بصورة عنيفة حتى قال عنه بعض النقاد : إنه شاعر في ثوب روائي ، والرواية تنطق بمهارته الفائقة للربط الفكري بين النظرية والواقع ، كما تدل سطورها على الطريق الأيسر إلى التأكد من الطمأنينة والأمن في الحياة ، وهو يستمد فلسفته من واقع الطبيعة كما يقول : "ونظرت خلال النافذة إلى النخلة في فناء دارنا ، فعلمت أن الحياة لا تزال بخير ، أنظر إلى جذعها القوي المعتدل ، وإلى عروقها الضاربة في الأرض ، وإلى الجريد الأخضر المتهدل فوق هامتها ، فأحس بالطمأنينة ، أحس أنني لست ريشة في مهب الريح ، ولكنني مثل تلك النخلة مخلوق له أصل ، جذور له هتف" وهذه الفكرة المتوقدة والمتفائلة تجعله معطاء ، يسخي بنفسه ونفيسه ، سخاء بصورة الدعوة إلى إحياء حضارة مجتمعة .

وهذه الرواية تعالج القضية الرئيسية التي عالجها من قبل

عدد من كبار الكتاب العرب ، وهي قضية الصراع بين الشرق والغرب وتفاعل ثقافاتهم ، وماذا كان موقف الجيل الجديد منها ؟ هل استسلموا لها أم قاوموها راضين بماضيهم هذا ما عبر عنه توفيق الحكيم في روايته : عصفور من الشرق ، ويحيى حقي في روايته "قنديل أم هاشم" والروائي اللبناني سهيل إدريس في روايته "الحي اللاتيني" ولكن الطيب صالح قدم هذه الرسالة في صورة رائعة ، في شخصية إنسان إفريقي سوداء البشرة ، علماً بأنها أكثر تعرضاً لغضب الغرب وحقدهم .

والحوادث في هذه الرواية تجري في أوائل هذا القرن حيث كانت القارة الإفريقية ، والسودان منها بصفة خاصة في دياجير الظلم والظلام ، وتبدأ الرواية بعودة طالب سوداني من لندن بعد سبع سنوات قضاها في الدراسة ، وهو يتمثل روائي القصة ، وقريته كانت مطلة على النيل ، وعند وصوله إليها اجتمع الناس لاستقباله بكل قلبهم وقالبهم ، وفيهم رجل غريب اسمه مصطفى سعيد ، كان أصله في الخرطوم ، وصل قبل خمس سنوات ، واستوطن السودان ، وكان رجلاً صالحاً في سريرته ، طيباً في غريزته ، ومع ذلك فيه شيء من الغموض وهو الذي ترك قريته في السودان وأخذ طريقه إلى القاهرة ليصنع هناك عالماً آخر ، ثم أتبع سبباً حتى بلغ بلداً أقصى منها شرقاً ، وهو لندن عالم العجائب والغرائب ، وتاقت نفسه إلى مظاهرها واطمأن قلبه إلى جماله المتصنع وتم تعيينه أستاذاً في إحدى جامعاته وكانت هناك نقطة إعجاب لدى السيدات الإنجليزيات ، وحياته هناك محور هذه الرواية فيه فرط الحب والانتقام ، أبدى حبه حتى صارت امرأة إنجليزية شريكة حياته ، ولكنها على مرور الزمن ما رضي بها

وانتهى الشقاق بينهما في قتله إياها ، كما تم انتحار ثلاث نساء أخريات من أجل حبه الضال مما سبب حبسه في سجن لندن بضع سنين ، وعلاقة مصطفى سعيد بهؤلاء الفتيات ليست علاقة عاطفية إنسانية صحيحة ، بل هي علاقات حسية قائمة على الاستغلال ، وهي تجسيد تلك النزعة الاستعمارية التي تهدف إلى الاصطياد في الماء العكر ، وتمثل هذه العلاقات بينه وبينهن مواقف الاستعمار في الدول المحتلة من مصر والشام والجزائر وليبيا ، حيث كانوا يستنزفون مواردها ويستغلون جهل أهلها وضعفها وفقرها ليتخذوا من ذلك مدخلاً لتحقيق طموحاتهم .

والحب الحقيقي الذي تمتع به مصطفى سعيد بعد أن خرج من سجون لندن ، هو الذي وهبته له الفتاة السودانية حسنة بنت محمود ، وكان له منها ولدان ، ويرسم الراوي حبهما على أساس المساواة والرغبة والاقتناع ، وصار وثيقاً بينهما حتى مات غريقاً في الفيضانات التي اجتاحت كثيراً من الأحياء والأملاك ، وقد أجبرها أهلها أن تتزوج بعد ذلك من "ود الريس" العجوز ، وهي ما كانت راضية به ، وانتهت هذه المأساة بقتلها إياه ثم قتلت نفسها .

والأجمل في هذه الرواية أسلوب الطيب صالح الذي لا يعروه تكلف ولا صنعة ، بل هو كلام ينبثق من صميم القلب ، لغة خلقتها تجارب الحياة ، وقدرته فائقة في الانتقال بالقارئ من مرحلة إلى مرحلة بدون أن يفقد انفعالاته ، وهو بذلك يستحق لقب عبقري الرواية العربية .

❖❖❖

حنين بن إسحاق ومنهجه في الترجمة العربية

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد قطب الدين الندوي
(أستاذ مساعد، بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي)

بلغت حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ذروة النضج والكمال في العصر العباسي الثاني ، وبرز كثير من المترجمين الماهرين الذين نقلوا العلوم المختلفة والمعارف المتنوعة من شتى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية بغاية من الدقة والأمانة ، وأهم المترجمين وأشهرهم في ذلك العصر حنين بن إسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ (١) للهجرة ، هو من مواليد الحيرة بالعراق ، ولد في عام مئة وأربع وتسعين (١٩٤) للهجرة (٢) ، وكان والده صيدلانيا له حانوت للأعشاب الطبية والنباتات ، نشأ وترعرع في زمن خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد ، ودرس اللغة العربية والسريانية في مدارس الحيرة ثم انتقل إلى الكوفة وتعلم النحو والبلاغة ثم غادر إلى البصرة لكسب اللغة العربية ، وبعد اتقان اللغة العربية في مدرستي الكوفة والبصرة توجه حنين إلى بغداد التي كانت تعرف بحضارتها وتقدمها العلمي آنذاك ، تلمذ على يد يوحنا بن ماسويه في جنديسابور وحصل على علوم الطب وبرع فيها حتى فاق أقرانه ، برع حنين بن إسحاق في أربع لغات وهي اللغة السريانية

(١) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف ص/ ١٣٢ ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ، وسنة الطباعة لم تذكر .

(٢) ضحى الإسلام ج/ ١ ص/ ٢٨٣ ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن ومحمد أولاده القاهرة .

والعربية واليونانية والفارسية .

لم يكن حنين بن إسحاق مترجماً من اليونانية إلى السريانية والعربية وفقيها لغوياً فحسب بل كان أيضاً رسولاً ثقافياً سافر إلى بلدان وحصل على كتب ومخطوطات ولعب دوراً هاماً جداً في توثيق العلاقات مع الروم والبيزنطيين ، كما يشير إلى ذلك الأستاذ نسيم مجلي قائلاً : "كتابة بيوجرافيا أو سيرة حياة هذا العالم العربي الكبير بصورة دقيقة وموثقة وإبراز دوره في حركة الترجمة ليس فقط كمترجم لحوالي مائة كتاب من اليونانية إلى السريانية وسبعة وثلاثين كتاباً إلى العربية وليس فقط كفقيه لغوي ومؤلف لعدد من كتب فقه اللغة العربية ونحوها وإنما كرسول ثقافي حضاري قام بأسفار عديدة للصحول على الكتب والمخطوطات ، كما أقام علاقات مع الروم والبيزنطيين من أجل هذه الغاية" (٣) .

ومتحدثاً عن حنين بن إسحاق يقول الدكتور شوقي ضيف : "وكان طبيباً مسيحياً نسطوريا من مدرسة جنديسابور ، رحل إلى بلاد الروم وتعلم اليونانية وكان يجيد بجانبها السريانية والفارسية والعربية ، وهو وابنه إسحاق وابن أخته حبيش أكثر المترجمين في العصر إنتاجاً ، وكانوا يعملون معاً ، فنسبت بعض الترجمات لهذا تارة ولذلك أخرى ، وكان يعاونهم تلاميذ كثيرون ، يدل على ذلك ما جاء في ترجمة حنين من أن الخليفة المتوكل "جعل له كتاباً نحارير عالمين بالترجمة يترجمون بين يديه وهو يتصفح ما

(٣) نسيم مجلي ، في مقالته "حنين بن إسحاق وعصر الترجمة العربية" عبر الانترنت http://www.nizwa.com/volume38/p65_75.html .

ترجموا ، وفي مقدمتهم أصطفين بن بسيل" ، ويبدو من اسمه أنه يوناني الأصل ، وكان حنين يشغف بترجمة الكتب الطبية ، وقد ترجم لجالينوس منها عشرات إلى العربية والسريانية ، غير ما أصلحه لتلاميذه من آثاره مما ترجموه إلى اللغتين ، ويصور لنا في مقدمة بعض الكتب التي ترجمها مدى دقته العلمية في الترجمة إذ كان لا يزال يجمع للكتاب الذي يريد ترجمته كل ما يمكنه من نسخ ، حتى إذا اجتمعت له قابل بينها وعارض عباراتها بعضها على بعض واستخلص للكتاب ترجمة دقيقة" (٤) .

يعرف حنين بن إسحاق بأعماله ونظرياته المتميزة في مجال الترجمة من اليونانية إلى السريانية والعربية كما يعد من أبرع الأطباء في تاريخ الطب السرياني والعربي ، وله أسلوب خاص في الترجمة وأعمال جلائل في مجال الترجمة العربية .

أنشأ الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد بيت الحكمة ، وهذا البيت أذكى جذوة الترجمة وقام الرشيد بتوظيف عدد كبير من المترجمين الماهرين واستقدم الكتب إلى بيت الحكمة من بلاد الروم وترجم هؤلاء المترجمون كتباً كثيرة من اليونانية والرومية والهندية والفارسية : "فإن الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد أنشأ دار الحكمة وعين بها مترجمين ليترجموا كتباً أجنبية من اليونانية والفارسية والهندية والرومية وترجمت في عصره كتب في مختلف فروع المعرفة في تلك الأيام

(٤) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف ص/١٣٣ ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ، وسنة الطباعة لم تذكر .

بما فيها الطب والهندسة وعلم الفلك والزراعة" (٥) ، وعن نشاطات دار الحكمة واهتمام هارون الرشيد بترويج عملية الترجمة يقول الدكتور شوقي ضيف : "وتنشط الترجمة في عصر الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطاً واسعاً ، وكان أذكى جذوتها حينئذ إنشاء دار الحكمة أو خزانة الحكمة وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين بها وجلب الكتب إليها من بلاد الروم" (٦) ، وفي عهد المأمون تطور بيت الحكمة تطوراً بالغاً أصبحت معهداً علمياً كبيراً وضم إليها المأمون مرصده ، فيضيف الدكتور شوقي ضيف : "وتبلغ هذه الموجة الحادة للترجمة أبعد غاياتها في عهد المأمون إذ تحول بخزانة الحكمة (دار الحكمة) إلى ما يشبه معهداً علمياً كبيراً وقد ألحق بها مرصده المشهور وجدّ في الترجمة" (٧) .

وبفضل تفوقه اللغوي وعلاقاته الوثيقة مع الخليفة العباسي المأمون تعين حنين بن إسحاق رئيساً لبيت الحكمة في عهده ، ومن هنا بدأ حياته في مجال الترجمة ، "أخذ الصيت العلمي لحنين بن إسحاق ينتشر في بغداد وخارجها حتى وصل إلى الخليفة المأمون من خلال طبيبه جبرائيل الذي كان يثني على ذكاء حنين وإمكاناته العلمية في مجلس الخليفة ، وكان المأمون قد أسس

(٥) فن الترجمة ، للأستاذ سيد إحسان الرحمن ص/١٦ ، دار الصفوة للنشر ، فوزي تاج ، ميّ البارودي .

(٦) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول لدكتور شوقي ضيف ص/١١٢ ، دار المعارف بمصر ، وسنة الطباعة لم تذكر .

(٧) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول شوقي ضيف ص/١١٢ .

(بيت الحكمة) في بغداد وقرر ترجمة كتب التراث اليوناني إلى العربية ، وأجرى اتصالاته المعروفة مع إمبراطور الروم ، ونجح في الحصول على أحمال منها ، وعندئذ استدعى المأمون عدداً من أمهر التراجمة لنقلها من اليونانية إلى العربية ، وكان حنين بن إسحاق في مقدمتهم على الرغم من أنه كان لا يزال في مقتبل العمر ، وطلب المأمون منه أن ينقل كتب الفلاسفة اليونان إلى العربية كما طلب منه في الوقت نفسه ، إصلاح ما ينقله غيره ، فامتثل حنين لطلب الخليفة ، وغدا حنين هو المشرف على شؤون الترجمة في بيت الحكمة ، ويقول ابن أبي أصيبعة : (إن المأمون كان يعطي حنين بن إسحاق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلاً بمثل)" (٨) ، ويذكر أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام" قائلا : "اتصل أول أمره بالمأمون وعين في بيت الحكمة الذي كان يزخر بالكتب اليونانية التي نقلت من آسيا الصغرى ، ومن القسطنطينية ، فأخذ حنين يترجم منها إلى السريانية أولاً ، ثم إلى العربية ، ثم ترجم للمعتصم والواثق والمتوكل ، ولم يكتف بما جمع في بيت الحكمة بل رحل في نواحي العراق وسافر إلى الشام والإسكندرية وبلاد الروم ، يجمع الكتب النادرة ، ومات سنة ٢٦٤هـ بعد أن عمر نحو سبعين عاماً ، بذل فيها من الجهد العلمي ما لا يستطيع غيره أن ينهض به في مئات السنين" (٩) .

اشتهر حنين في زمن الخليفة المأمون لأعماله في مجال

(٨) http:/www.atida.org/forums/showthread.php?t=2085. 24/7/09 .

(٩) ضحى الإسلام ج/١ ص/٢٨٤ .

الترجمة حيث كان ينال الذهب مقابل ترجمة الكتب إلى اللغة العربية كما يشير إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف : "وممن أخذ اسمه يلمع منذ عهد المأمون في الترجمة حنين بن إسحاق ، وكان دقيقاً في ترجمته حتى قالوا إن المأمون رسم له أن يأخذ وزن ما يترجمه ذهباً" (١٠) ، ويضيف البروفيسور سيد إحسان الرحمن قائلاً : "كان بلغ التشجيع المادي للمترجمين إلى أن المأمون وزن بالذهب سواء بالسواء كل كتاب مترجم من حنين بن إسحاق ، وفي عهد المتوكل بلغ الاهتمام بهذه العملية أنه أي المتوكل أهدى إلى حنين بن إسحاق ثلاث دور من دوره مع كل الأثاث اللازم والمستلزمات والآلات والكتب وأقطعه اقطاعات ودون ذلك كله وفوقه جعل له راتباً شهرياً بلغ خمسة عشر ألف درهم ، وكذلك أهدى له ثلاثة خدم من الروم ، وليس ذلك فحسب فإنه أعطى بسخاء أموالاً لا حساب لها لأهل حنين بن إسحاق وأقطعهم اقطاعات وغير ذلك استرضاء له" (١١) .

كانت الترجمة الحرفية رائجة قبل حنين ، ولكنْ حنين هو الشخص الذي انتهج منهجاً في الترجمة يعتمد على نقل المعنى الصحيح نقلاً دقيقاً محكماً ، كان حريصاً على أداء النص أداءً صادقاً وذلك لأنه لم يكن مترجماً فحسب بل كان طبيباً بارعاً وذا ثقافة ، ومتضلعاً بالمنطق و الفلسفة بالإضافة إلى تضلعه من اللغة العربية ، يقول أحمد أمين : "وقد نقل حنين الترجمة نقلة جديدة لإتقانه اللغات المختلفة ، فكان العلماء يدركون الفرق

(١٠) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ص/١١٤ .

(١١) فن الترجمة ، للأستاذ سيد إحسان الرحمن ص/٢١ - ٢٢ .

الكبير بين ما ترجمه حنين وما ترجم قبله ، قد كان ترجمة حنين وافية دقيقة ، وترجمة من قبله عليلة سقيمة ، حتى إن ابن ماسويه لما قرأ قطعة من ترجمته أول أمره قال "أثرى المسيح في دهرنا هذا أوحى إلى أحد" إعجاباً بترجمته ، واعترافاً بأنها خارجة عن المألوف في الترجمة لعهده" (١٢) ، وفي نفس السياق نجد أنه "كانت ترجمة حنين أبعد ما تكون عن الترجمة الحرفية لأنه يهتم بإيضاح المعنى والدقة والإيجاز والأمانة العلمية ، ولم يكن حنين يكتفي بالترجمة وإنما كان يضيف للكتاب المترجم ، أحياناً ، شروحاً وتفاسير لبعض المسائل الصعبة الواردة فيه ، ويؤكد القفطي هذه النقطة بالقول أن حنيناً (كان جليلاً في ترجمته ، وهو الذي أوضح معاني كتب (أبقراط) و (جالينوس) وكشف ما استغلق منها)" (١٣) .

ويقال إن حنيناً كان يترجم أولاً من اليونانية إلى السريانية ثم يعطيها ابنه إسحاق أو ابن اخته حبيش وتلامذته الآخرين لكي يترجمه أحد منهم إلى اللغة العربية ، وأخيراً يدقق حنين النظر في النص العربي ويقوم بإصلاحه ويعطي اللمسات الأخيرة للنص العربي ، كان حنين شديد التمحيص والدقة في الترجمة ، يستعين بنصين أو ثلاثة ويقومها ثم يكتبها حتى يبدو كالأصل عناية واهتماماً .

وتعليقاً على منهج حنين بن إسحاق كتب فيما كتب أحمد أمين : "كان يترجم نفسه ، وكان يشرف على جماعات تعمل

(١٢) ضحى الإسلام ، ج/١ ص/٢٨٦ .

(١٣) عادل زيتون http:/www.atida.org/forums/showthread.php?t=2085 .

بإرشاده ، (فقد جعل له المتوكل كتاباً نحارير ، عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا ، كأصطفين بن بسيل ، وموسى بن خالد الترجماني ويحيى بن هارون) (أخبار الحكماء ١٧١) ، كان يترجم كثيراً ويؤلف كثيراً وكان أحياناً يضع الشرح لما ترجم ، ويلخص المطولات ويصحح تراجم السابقين ، وعلى الجملة فقد كان حركة علمية دائمة قل أن تبارى بل ظلت حركته التي أنشأها تعمل عمله بعد وفاته ، على يد ولديه وتلاميذه" (١٤) .

ويقول الأستاذ نسيم مجلي عن منهج حنين بن إسحاق :
"وحينما كان حنين يجد قراءات مختلفة في المخطوطات المتباينة ، كان عليه أن يقرر أيها هي النسخة أقرب إلى الأصل ، وهذا مثيل ما يقوم به المحقق في الوقت الحاضر ، لنص قديم وذلك بإخضاع النص المختلف القراءات إلى نظام نقدي أصبح الآن سهلاً بعد اختراع الطباعة ، وعلى كل حال فإن حنيناً كان يضطر إلى إضافة الشروح على تراجمه أو في حواشيها بغية إفهام القارئ اختلاف المخطوطات اليونانية والإفصاح عن الشكوك التي تساور في أحد تلك الأجزاء من النص ، ثم يمثل لذلك بكتاب جالينوس "العلاج بالتشريع" والذي ترجمه إلى السريانية أيوب الرهاوي وصحح حنين فيما بعد ترجمته العربية التي قام بها حبيش" (١٥) .

يؤمن حنين بن إسحاق بالأخذ والعطاء بين اللغتين العربية والسريانية ، وربما يستعمل بعض التعابير العامية المتداولة ويختار اللفظ الملائم والتعبير الدقيق الذي كان يستلزمه التأليف والترجمة وخاصة إذا أراد وضع مصطلحات سريانية أو عربية جديدة .

(يتبع)

(١٤) ضحى الإسلام ، ج/١ ص/٢٨٤ .

(١٥) نسيم مجلي ، في مقالته "حنين بن إسحاق وعصر الترجمة العربية" عبر الانترنت http://www.nizwa.com/volume38/p65_75.html .

لماذا يطلق على لاعبي الكرة فراعنة

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو احمد
(جمهورية مصر العربية)

خلال المسابقات الرياضية ، وخاصة مباريات كرة القدم ، التي يتقابل فيها ، فريق المنتخب القومي المصري ، مع منتخب أية دولة أخرى ، يردد معلقو المباريات ، ومقدمو البرامج الرياضية ، عبر أجهزة الإعلام ، الفضائية منها أو المحلية ، المقروءة منها أو المسموعة ، مصطلح فريق الفراعنة وأبناء الفراعنة ، في إشارة إلى لاعبي الفريق المصري ، ويشتد الصياح والهتاف بهذا المسمى مع إحراز الفريق المصري للفوز ، كما لو كانت الرياضة تنسينا مصريتنا ، وكما لو كان الفوز يجعلنا نتبرأ من عروبتنا ، بينما لا يتكرر مثل هذا من أي فريق عربي آخر ، فكثير ما حققت فرق عربية سواء كانت من دول المشرق أو المغرب ، فوزاً مشرفاً ، حينئذ تجدنا نحن العرب في سائر دول العالم أجمع نبتهج وتفاخر به وننسبه لعروبتنا ، وكذلك نحزن ونتأسف إذا ما حدث العكس ، وهذا أمر طبيعي وشعور حقيقي ، فمثلاً أي من فرق المغرب العربي لم يقل أحد يوماً عنهم أنهم بربر ، على ما قدموه من نجاحات رياضية ، على الرغم من سيطرة اللغة الفرنسية على مخاطبتهم ، وعلى الرغم من عروبتهم ذات الطابع المفرنس ، إلا أنهم في البداية والنهاية ، في الفوز والهزيمة ، يعتزون بعروبتهم أيما اعتزاز ، لذا يتردد على الأذهان سؤال فحواه ، هل نحن المصريون إخوة للعرب وننتمي للعروبة في مآسينا وحروبنا فقط ؟ وإذا ما حققنا نصراً أصبحنا فراعنة ؟ ، ولكن ما يخفف وطء هذا عنا ، هو أن إلصاق

هذا المسمى أو هذه التسمية ، باللاعبين المصريين حديثة ، ومع هذا لا نعرف من هو صاحب السبق الأول في تسمية لاعبينا بهذا ، وهل هذه التسمية صناعة محلية أم بضاعة صدرت إلينا من الخارج ؟..

ولفظ فرعون يحمل في مدلوله عدة إيحاءات تاريخية ودينية وسياسية ، نود توضيح بعضها رداً على من لا يرى ضرراً في تسمية لاعبينا بهذا الاسم ، جاء في دائرة المعارف الإسلامية بتصرف : فرعون لقب ، أو اسم علم للدلالة على ملوك العماليق ، أو هو علم لمن ملك مصر كافة ، على نحو ما استخدم لقب كسرى للدلالة على ملوك الفرس ، وقيصر للدلالة على ملوك الرومان ، والنجاشي للدلالة على ملوك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وتبع لمن ملك اليمن ، وبطليموس لمن ملك اليونان ، وخاقان لمن ملك الترك ، على الرغم من أن من تسمى بذلك هو ملك من ملوكهم ، ثم جرت العادة بعد ذلك على تسمية كل ملك بهذا الاسم ، كما أن فرعون يعني أيضاً اسم الملك الذي أرسل الله إليه سيدنا موسى وهارون عليهما السلام ، كما ذكر فرعون في قصص سيدنا إبراهيم ويوسف عليهما السلام ، وقد ورد لفظ فرعون في القرآن الكريم كاسم علم أكثر منه لقباً ، ومن هنا يترجح القول بأن كلمة فرعون هي اسم علم أكثر منه لقباً ، قد تم تعميمه على ملوك مصر القديمة ، فأصبح لقباً لكل ملك حكم مصر ، وقد أشارت التوراة في سفري التكوين والخروج لملوك مصر بلقب فرعون ، وقد عممت التسمية والتلقب بهذا اللقب على كل من حكم مصر ، وفي التراث يطلق على الملوك المصريين الذين ذكروا في معرض الحديث عن ملوك إسرائيل لقب الفراعنة أيضاً ، وقد جرى العرف والعادة والاصطلاح في

العصور الحديثة على إطلاق لقب فرعون على الحاكم في مصر القديمة ، وعلى تلقيب ملوك مصر القدماء بالفراعنة ، وذلك جرياً على العادة في إطلاق الألقاب على ملوك العالم القديم .

ويرى المؤرخون المسلمون والعرب أن الفراعنة من العماليق ، والعماليق هم من يعرفون تاريخياً بالهكسوس ، وهم الذين احتلوا مصر لمدة تتراوح من ١٥٠ – ٢٣٠ عاماً بدءاً من عام ١٧٨٠م ، وحتى عام ١٥٥٠ قبل الميلاد ، وكانوا من الآراميين والأعراب البائدة وأطياف من العبرانيين والكنعانيين والبابليين وغيرهم من الشعوب ، ويذكر هؤلاء المؤرخون أن فرعون بني إسرائيل كان منهم ، وهؤلاء العماليق تفرع منهم عشيرة هي من عرفت بعشيرة آل فرعون ، أو قوم فرعون ، ومن هنا ظهرت التسمية بالفراعنة ، حيث كان يقصد بها العمالقة أو العماليق في أول الأمر ، ثم جرى العرف في العصور الحديثة خطأً على تسمية ملوك المصريين أنفسهم بالفراعنة بدلاً من إطلاقها على الهكسوس أو العماليق ، غير أن هذا الرأي يحتاج إلى المزيد من الأدلة التاريخية والأثرية لإثباته ، برغم كونه أقرب إلى المنطق من الفروضات الأخرى ، كما تشير أحدث أبحاث اللغة إلى أن لفظ "فرعون" هو لفظ آرامي معناه "راعي" أي من الملوك الرعاة ، وقد أشار إلى ذلك الباحث طارق أبو هشيمة في كتابه "أصول الكلمات" الصادر حول الكلمات التي دخلت على اللغة العربية ولها أصول من لغات أخرى ، ويلقي ذلك الضوء بشدة على أصل فرعون موسى الذي نما في الفترة الأخيرة الاعتقاد بعدم مصريته وانتمائه للهكسوس أو الملوك الرعاة أو العماليق كما سبق التوضيح ، وعليه فإن لفظ فرعون هو لفظ لا

ينتمي إلى اللغة المصرية القديمة بالمرة ، وإنما هو لفظ آرامي يشير إلى الملوك الرعاة الذين غزوا مصر في أحد عصورها القديمة وحكموها لفترة تتعدى القرنين من الزمان ، كما إن كلمة فرعون تعني باللغة المصرية القديمة "البيت الكبير" أو "البيت العظيم" التي بعد استعمالها للقصر استعملت لصاحبه ، وبطريقة مشابهة استعمل الباب العالي للدلالة على السلطان العثماني ، وقد تطور استعمالها إلى لقب حكام مصر ، ولم يعرف هذا اللقب لحكام مصر إلا في بداية الأسرة الثامنة عشرة أي "١٥٣٩ قبل الميلاد" ، وهذا ما تبين من خلال مطالعة الموسوعة البريطانية وغيرها من الكتب التي تحدثت عن تاريخ مصر القديمة ، وكل الفترة الزمنية التي سبقت هذا التاريخ كان لقب حكام مصر هو الملك بدون خلاف على ذلك ، ومن هنا يتبين عدم صحة الادعاء بتسمية ملوك مصر جميعهم بالفراعنة .

والجدير بالذكر أيضاً أن هناك شكاً كبيراً في حقيقة أصل هذا اللقب وانتسابه إلى المصريين القدماء ، فالمصريون القدماء لم يسموا أنفسهم أبداً بالفراعنة ، رغم شيوع وذيوع استخدام المسمى في العقود الأخيرة ، إلا أن الفراعنة كلقب لم يعرف إلا في العصر الحديث نتيجة إصرار علماء الغرب على إطلاقه على ملوك مصر القديمة تمشياً مع التوراة ، وفي ذلك يقول كتاب معجم الحضارة المصرية القديمة : لم يستعمل فرعون كلقب إلا في الألف سنة الأولى قبل الميلاد كلقب للملك ، ومثلما أنه لم يكن يطلق على عامة سكان الدولة الفارسية "أكاسرة" أو على عامة سكان الدولة الرومانية "قياصرة" أو على عامة سكان

الدولة الإسلامية "خلفاء" كذلك لم يكن يطلق على عامة سكان الدولة الفرعونية "فراعنة" في أي وقت من الأوقات ، ولم يرد ذكرهم بهذه التسمية لا في الأسفار المقدسة ولا في المصادر الأخرى ، وإنما كانت تتردد في تسميتهم بين الأقباط والمصريين ، وهنالك شيء آخر هام جداً ، تتحفنا به النقوش الملونة والحفريات والمومياوات ، حين تأكد أن المصريين القدامى ، كانوا أصحاب بنية قوية ، وقامات طويلة ، وأفواه عريضة ، وشفاه غليظة ، وكانت لهم بشرة سمراء ضاربة إلى السواد ، وهي سمات بعيدة عن سمات الشعب المصري الحالي ، باستثناء النوبيين الذين لا نستبعد أن يكونوا أحفاد السكان الأصليين ، كما لا نستبعد انتماء بعض الأسر الفرعونية القديمة إليهم ، أما عامة الشعب المصري اليوم فهم أبناء الهجرات الكبرى إلى وادي النيل ، وحصيلة التمازج بين تلك الأعراق ، ومن أضخم تلك الهجرات وأشدها تأثيراً وتميزاً وبقاء هجرة القبائل العربية التي سبقت الفتح العربي الإسلامي لمصر وزامنته واستمرت بعده قادمة من الجزيرة العربية والعراق والشام ، ولم تكن هجرة أسر ، كما قد يتصور البعض ، ولكنها كانت هجرة قبائل وبطون بأكملها ، من استقر منها في سيناء وريف مصر وصعيدها ظل محتفظاً بنسبه ، ومن انتقل للعيش في المدن الكبرى حول الدلتا أنسته المدنية نسبه كما هو الحال في باقي الأقطار العربية ، ومع أن الظاهر هو عدم تسلل العرق العربي إلى أقباط مصر ، لأنهم مسيحيون ومن أسلم منهم سقطت عنه هذه التسمية ، حسب العرف المصري ، إلا أنني لا أستبعد تسلل الدم العربي إلى العروق القبطية عن طريق العرب

الذين هاجروا إلى مصر قبل الفتح وظلوا على مسيحيتهم بعد وصول العرب المسلمين ، وعن طريق المسيحيين العرب الذين انتقلوا من الجزيرة العربية والشام للعيش في مصر بعد الفتح الإسلامي ، وحتى لو لم يسلم البعض بهذا فإن عروبة الأقباط لا يُثبتها أو ينفيها الدم ، فمتى ما تكلم القبطي ، أو ابن أي أقلية أخرى تعيش في الوطن العربي ، بالعربية كلغة أولى وانتمى إلى ثقافتها وآمن بوحدة الهدف والمصير فهو عربي بقطع النظر عن عرقه ودينه وطائفته .

فالفراعنة إذن ليسوا أسلاف المصريين الحاليين ، فلا اللغة هي اللغة ، ولا الثقافة هي الثقافة ، ولا الدين هو الدين ، وبل ولا الدم هو الدم ، هذا على افتراض أن الفراعنة أمة من الأمم ، فكيف والحال أنهم ليسوا سوى مجموعة من الأسر الملكية التي حكمت مصر القديمة حكماً مستقلاً قبل أن يتم احتلالها من قبل اليونان والرومان والفرس غيرهم ، كما أنه لا يوجد في مصر من يتحدث بلغة الفراعنة أو يحمل سماتهم أو يمارس ثقافتهم فلو كان المصريون الحاليون هم من أبناء الفراعنة لكان حالهم كحال الآشوريين في العراق على سبيل المثال ، حيث ما زال الآشوريون يتحدثون اللغة الآشورية ، ويمارسون طقوسها ، ويحملون ثقافتها ، وسماتها العراقية ، رغم أنهم يعيشون جنباً إلى جنب مع بقية أعراق الشعب العراقي المحافظة على هويتها التاريخية بنفس الدرجة ، وهذا ينطبق أيضاً على السريان في سوريا ولبنان ، والسؤال الذي ينبغي أن يجيب عنه أصحاب هذا المسمى : أين هم الفراعنة ؟ أين دمهم ولغتهم وثقافتهم ، ولماذا لم يحافظوا عليها كالآشوريين

والسريان ؟!، وأي من أفراد الشعب المصري هذا الذي يتحدث بلغة مصر القديمة أو يمارس طقوسها ، أو يزعم بأن ما يجري في عروقه هو دم فرعوني ؟ ومن ذا الذي يقبل أن تستبدل هويته الحية بلغتها وثقافتها ودينها ، بهوية ميتة ماتت وشبعت موتاً منذ آلاف السنين .

وللعلم فإن الدعوة إلى فرعنة مصر كلها ، وليس لا عبينا فقط ، دعا إليها المستعمر الغربي ، كما دعا إليها وما زالوا على دعواهم ، من يريدون طمس هوية هذا البلد ، وقطع الصلة بينه وبين محيطه العربي والإسلامي ، وللأسف فقد تلقاها وناضل عنها مفكرون وأدباء وسياسيون كبار ، إلا أن هذه الدعوة لم تلق أذنا صاغية من عامة المصريين ، وهناك محاولات لترسيخ فكرة انتماء المصري الحالي إلى السلالة الفرعونية ، بالرغم من أنه لا يوجد هنالك سلالة فرعونية ، وإنه من الغريب أن تلتقي بمصري ينكر عروبته ويدعى الانتساب إلى الفراعنة ، رغم أنه يتحدث العربية ويدين بالإسلام ، وكأن العروبة عار أو كأن الفراعنة أعظم من العرب ، ولسنا نلوم مثل هذا الشخص ، فما هو إلا ضحية ، من ضحايا أكبر عملية تزوير للحقائق ، وتزييف للهوية ، لا تتطلي إلا على البسطاء وأنصاف المثقفين ، أما المثقف الواعي فهو لن يعطيك بطاقته الشخصية مقابل شهادة وفاة ، حتى ولو كانت هذه الشهادة تعود إلى الإسكندر المقدوني ، كما يجب علينا أن لا ننسى المقارنة بين الدعوة إلى فرعونية مصر ، والدعوة إلى فينقية لبنان ، فبينهما من التشابه ما يثري البحث العلمي ، في الوصول إلى حقيقة هذه الادعاءات ، ومن أين جاءت وإلى ماذا تهدف ، ولاحظ اقتران ذلك كله بالدعوة إلى العامية الدارجة كبديل

تعويضي عن اللغات الميتة لتلك الحضارات ، عموماً فإن هذه الأفكار الشاذة لن تلبث أن تسقط بمجرد تغير الأوضاع السياسية الحالية إلى ما هو أفضل ، وحين يكون هنالك ما هو أفضل لن يهرع أحد إلى الدفاتر القديمة كما يفعل التاجر المفلس ، فما بالك والدفاتر الفرعونية ليست سوى كراريس مزورة تعج بالنظريات والتخمينات لا غير ؟ وهذا لا يعني أننا نحط من شأن هذه الحضارة ، فلها شأن عظيم لن ولم ينساه التاريخ مهما طال .

وفي لسان العرب : الفرعنة معناها الكبر التجبر ، وكل عات فرعون ، والعتاة الفراعنة ، وقد تفرعن ، وهو ذو فرعنة أي ذو دهاء وتكبر ، وقصة فرعون في القرآن الكريم تصف ما كان عليه من الكفر والتكبر ، كما تصف العقاب الإلهي الذي أوقعه المولى عز وجل على فرعون وجنوده ، وديننا الحنيف ينهاها عن التشبه بالكفار والتفاخر بالانتساب إليهم ، لكنه يأمرنا بالسير في الأرض ، لمعرفة ما كانت عليه أحوال الأمم التي كفرت بالله ورسله ، وما آل إليه حالهم للعبرة والاتعاظ .

أخيراً ، ألم يعلم مردود هذه التسمية أن أتباع سيدنا موسى الذين نالوا على يد فرعون وجنوده سوء العذاب إلى أن خلصهم المولى عز وجل منهم : يحلمون باليوم الذي يعودون فيه إلى الأرض التي عاش عليها آباؤهم ، وهم لذلك يرسخون في أذهاننا فكرة أن هذه الأرض التي نعيش عليها ، كانت أرضهم وأرض آبائهم وأن لهم حقاً تاريخياً في الأرض من النيل إلى الفرات ، وها هو الفرات قد صار لهم فيه موضع قدم ، وها نحن نمهد لهم أرض النيل لموضع القدم الأخرى ، فهل وصل المعنى الذي بين السطور ؟!.

❖❖❖

من تاريخ علماء العرب والهند :

ثناء الإمام عبد الله بن العباس رضي الله عنهما بن عبد المطلب

بقلم : معالي الأستاذ الدكتور راشد عبد الله الفرحان – الكويت

وهذا هو حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقول عن صحابة رسول الله ﷺ : إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص نبيه محمداً ﷺ بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال : ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح الآية/٢٩) .

قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ، ووضحت أعلامه وأذل بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء وكانوا لعباد الله نصحاء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها (١) .

وهذا مالك الأشتر النخعي (٢) صاحب علي بن أبي طالب

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٧٥/٣ والثناء المتبادل بين الآل والأصحاب ص/٣٤ .

المقرب كما تسطر كتب التاريخ ، يثني على الشيخين أبي بكر وعمر ثناءً عطراً فيقول : (أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة برسوله محمد ﷺ فجمع كلمتها وأظهرها على الناس ، فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث ثم قبضه الله عز وجل إلى رضوانه ومحل جنانه ثم ولي من بعد قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وجزاهم بأحسن ما أسلفوا من الصالحات) (٣) .

ويقول أيضاً في خطبة أخرى : (أيها الناس ! إن الله تبارك وتعالى بعث فيكم رسوله محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً وأنزل عليه الكتاب ، فيه الحلال والحرام والفرائض والسنن ، ثم قبضه إليه وقد أدى ما كان عليه ثم استخلف على الناس أبا بكر فسار بسيرته واستن بسنته ، واستخلف أبو بكر عمر فاستن بمثل تلك السنة) (٤) .

قال محمد جواد مغنية في كتابه (مع الشيعة الإمامية) : أما عقيدة الإمامية بالصحابة فيدل عليها قول إمامهم الرابع زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في الصحيفة السجادية من دعاء له في الصلاة على اتباع الرسل قال : (اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته ، وانتصروا به ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور

(٢) مالك الأشتر النخعي : هو مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، والنخع كما قال الشيخ عباس القمي : قبيلة كبيرة من مذحج باليمن واسم النخع جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد "الكنى والألقاب ٢٤٤/٣" .

(٣) الفتوح لابن أعثم ٣٨٥/١ .

(٤) الفتوح لابن أعثم ٣٩٦/١ .

في مودته ، والذين هجرتهم العشائر ، إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته ، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك وإليك ، واشكرهم على هجرهم فيك ديارقومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلوميهم) .

وقال جعفر الصادق : (وما نحن إلا عبيد الذي خلقنا وأطعنا ، والله مالنا على الله حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وإنا لميتون وموقوفون ومسئولون ، من أحب الغلاة فقد أبغضهم ، ومن أبغضهم فقد أحبنا ، الغلاة كفار ، والمفوضة مشركون لعن الله الغلاة إلا كانوا نصارى ، إلا كانوا قدرية إلا كانوا مرجئة ، إلا كانوا حرورية (٥) .

إن من تلاميذ الإمام جعفر الصادق ، الإمامان أبو حنيفة ومالك ، إن مذهب آل البيت هو مذهب العباسيين ، فالخلفاء العباسيون لم يرو أن لهم مذهباً خاصاً غير مذهب الصحابة ، وهم أعمدة الدولة الإسلامية ، سنين عديدة ، أئمة المسلمين دهراً طويلاً ، وهم رؤساء في آل البيت ، ونحن لا نتكلم هنا عن الخلافات السياسية التي حدثت بين العباسيين وبني عمهم ، وإنما نعني العلم والعقيدة والثقافة الدينية .

فالخلافات بين آل البيت والأمويين خلافات سياسية ، ولا دينية ، كما هي الخلافات مع بني العباس ، التي وصلت ذروتها معهم ، بالسجن والتعذيب حتى وصلت حد القتل أحياناً .

ومن ذلك يتبين أن آل البيت ليسوا معصومين يجوز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم ، فلا يجوز تقديسهم ورفعهم فوق البشر .

---

(٥) مع الإمامية : جواد مغنية ص/٤٢ وكتاب بحر الأنوار المجلسي .

موطن أهل البيت :

يظن بعض الناس أن أهل البيت منحصرون في أشخاص معينين يلبسون عمائم تميزهم ، أو يسكنون مناطق في بلدان معينة ، وما يدرون أن ذرية الإمام الحسن والحسين وبني عمومتهم من أهل السنة ما يفوق أولئك في العدد والأماكن الكثير الكثير ، لهم نقابات وجماعات وتعارف ، وسلسلة نسب وكل ذلك مسطر في كتب التاريخ ، انظر كتاب واحد فقط (العقد الماسي في أنساب آل البيت النبوي أبناء الإمام في مصر والشام) (لابن طباطبا) وغيره .

موطن مولد آل البيت ومدافنهم :

الإمام علي بن أبي طالب ولد بمكة المكرمة ودفن بالعراق بالنجف ، الإمام الحسن بن علي ولد بالمدينة المنورة ودفن بالحجاز بالبقيع ، الإمام الحسين بن علي ولد بالمدينة المنورة ودفن بالعراق بكربلاء ، الإمام محمد بن علي (ابن الحنيفة) ولد بالمدينة المنورة ودفن بالحجاز قرب المدينة المنورة .

الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) ولد بالمدينة المنورة ودفن بالحجاز بالبقيع ، الإمام زيد بن علي ولد بالمدينة المنورة ودفن بالعراق ، الإمام محمد الباقر ولد بالمدينة المنورة ودفن بالحجاز بالبقيع ، الإمام جعفر الصادق ولد بالمدينة المنورة ودفن بالحجاز بالبقيع ، الإمام موسى الكاظم ولد بالمدينة المنورة ودفن بالعراق ببغداد ، الإمام علي الرضا ولد بالمدينة المنورة ودفن بطوس بإيران ، الإمام محمد (الجواد) ولد بالمدينة المنورة ودفن في العراق بسامراء ، الإمام (الهادي) ولد بالمدينة المنورة ودفن بالعراق بسامراء ، الإمام العسكري ولد بالمدينة المنورة ودفن بسامراء .

الأصحاب :

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ، ومات على الإسلام ، فيدخل فيهم آل البيت الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به ،

وفضائل الصحابة ومناقبهم كثيرة جداً ، مبسوطة في كتب السنة ، وقد أفرد لها العلماء أبواباً خاصة .

وجاء في كتاب تمييز الصحابة : أن عددهم يزيد على مائة ألف رجل وامرأة فأول هؤلاء الخلفاء الراشدون المبشرون بالجنة ، والشهداء مع رسول الله ﷺ أو من بعده في سبيل الله والدعوة الإسلامية .

ثم أهل بدر ، وعددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً ، ومن أبطال هذه المعركة أسد الله حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وقال الرسول ﷺ : لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) .

ثم أصحاب أحد جميعاً فقد نزل فيهم قرآن يتلى بتوبة الله على الجميع ، الذين صمدوا مع النبي مثل أبي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، أو الذين استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فقد تاب الله عليهم ليتوبوا ، ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة الآية/ ١١٧) .

ثم أهل بيعة العقبة ، الأولى والثانية بمكة ، سنة ١٢هـ بالحج وهم اثنا عشر رجلاً ، أو أهل بيعة العقبة الثانية ، وهم بضعة وسبعون ، من أهل يثرب ، ومعهم امرأتان نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو .

أصحاب بيعة الرضوان :

أصحاب بيعة الرضوان كانوا نحو ألف وأربعمائة رجل ، بالحديبية ، وتمت البيعة تحت شجرة عظيمة كبيرة ، وكان الصحابة مع النبي ﷺ يبغون العمرة فصدهم الكفار خوفاً على

أنفسهم ، وكانت البيعة إثر وصول خبر مقتل عثمان بن عفان بمكة وقد أرسله الرسول ﷺ للتفاوض مع قريش ، ولما رجع بايع ، قال الله فيهم : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح الآية/ ١٨) ومن يرضى الله عنه ، فلا يجوز أن يسخط عليه إنسان أبداً ، وإلا كان آثما .

إن هؤلاء ومثلهم من النساء من الكثرة الكاثرة ، سواء من ذكر العموم أو ذكر بالخصوص ، هم الذين بايعوا الخلفاء الراشدين ، وهم الذين عزروا الرسول ونصروه ، وهم الذين أحبوا أهل البيت ، وأحبوهم ، وصاهروهم ، وعلموهم وتعلموا منهم .

محبة الصحابة :

تجب محبة الصحابة كما تجب محبة آل البيت ، وإن كان أهل البيت أفضل نسباً وقرباً من الرسول ﷺ فلا يجوز كره غيرهم من الصحابة الذين ذكرناهم ، والذين سطرت الكتب أعمالهم في الإسلام ، وشهد لهم الله ورسوله ، وشهد لهم آل البيت ، ولا نقول : إنهم كلهم في درجة واحدة ، فهم درجات في القرب من الله والرسول ، وهم يتفاضلون فيما بينهم ، وليسوا معصومين عن الخطأ ، فمن ذكر الرسول بالخير ذكرناه ، ومن ذكره بالسوء سكتنا عنه .

قال الرسول ﷺ : (الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) وقال ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) (رواه مسلم) .

❖❖❖

الإمام زيد بن علي رحمه الله وقراءاته

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأستاذ الدكتور عبد الماجد نديم *

وعلى كل حال يمكن الوصول إلى بعض آرائه من خلال التفاسير القرآنية المتداولة التي قد اقتبست آراؤه التفسيرية ، مثلاً ترى أبا حيان الأندلسي أنه ينقل قول الإمام في تفسير الآية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت الآية/ ٣٣) ويقول : (وقال زيد بن علي : دعا إلى الله) ، .. ثم يعلق على قوله هذا ، قائلاً : (وهذا – والله أعلم – هو الذي حمله على الخروج .. على بعض الظلمة من ملوك بني أمية) (١) .

وتذكر المصادر لنا كتاباً لزيد بن علي بعنوان (قراءة زيد ابن علي) ، وقد ذكر الحميري صاحب الحور العين أن لزيد قراءة مفردة مروية عنه ، وذكر صاحب الروض النضير اسمه : "النير الجلي في قراءة زيد بن علي" لإمام النحاة أبي حيان (٢) .

والمعلوم أنه هو أبو حيان الأندلسي ، وأما ما صرح به شريف الخطيب صاحب "الإمام زيد بن علي المفترى عليه" بأنه أبو حيان التوحيدي فهو خطأ ، بل هو أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) صاحب البحر المحيط كما ذكرنا ، وعليه يدل قول السياغي :

(*) الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في جامعة بنجاب ، لاهور – .

(١) البحر المحيط ج/٧/٤٧٦ ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ورفقاؤه ، دار الكتب العلمية في بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

(٢) انظر الروض التفسير : ١/ ١٠٢ .

"إمام النحاة" ، أبو حيان الأندلسي هو الذي اعتنى بالقراءات وبالإضافة إلى قراءة زيد بن علي ، جمع هو قراءة كل من القراء السبعة ويقعوب ، (٣) وكان أبو حيان الأندلسي عالماً بالقراءات ، إذ ورد في تفسيره "البحر المحيط" روايات قرآنية كثيرة ، ولمثله يمكن تأليف الكتاب المذكور ، وذكرت المصادر أيضاً هذا الكتاب من مؤلفات أبي حيان الأندلسي .

ومن الجدير بالذكر أن صاحب "كشف الظنون" حاجي خليفة قد ذكر كتاباً بنفس الاسم لأبي علي الأهوازي المقرئ (٤) .

فعلى كل حال ، لم تطلع على هذه المجموعة ، ولم تتناول النور بعدُ ، فقمت بجمع قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما من الكتب التفسيرية ، لإبراز الزاوية المستورة من شخصيته ، وليكون عوناً للمزيد من البحث والتحقيق في مجال القراءات ، واللغة والنحو ، والصرف والبيان واللهجات العربية في العصور الإسلامية وغيرها من العلوم العربية والدينية ، وقد وجدت أكثرها في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، والبيان والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ، والكشاف للزمخشري ، ومن ثم وجدت قراءاته الأخرى في معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب ، وبعضاً في معجم القراءات القرآنية للدكتورين أحمد مختار عمر ، وعبد العال سالم مكرم ؛ فجمعت هذه القراءات وقد بلغت إلى أربع مئة وثمانين رواية قرائية (٥) .

---

(٣) انظر : "فوات الوفيات والذيل عليها ، بتحقيق الدكتور إحسان عباس : ٤/٧٨ ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني : ٢/ ٢٨٩ ، (مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر بالقاهرة ، طبعة أولى : ١٣٤٨هـ) ونفح الطيب : ٩/٣٨٦ – ٣٨٧ (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر ، بدون تاريخ) .

(٤) انظر "كشف الظنون" : ٢ : ١٩٩٤ .

(٥) وانظر للتفصيل ، كتاب : قراءة الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي للدكتور عبد الماجد نديم .

ووردت قراءة الإمام في جميع سور القرآن إلا في ثلاث عشرة سورة ، وهي كلها في الجزء الثلاثين ؛ وهي : السورة الحادية والثمانون (سورة التكوير) ، والسابعة والثمانون (سورة الأعلى) ، والثالثة والتسعون (سورة الضحى) ، والسابعة والتسعون (سورة القدر) ، والثامنة والتسعون (سورة البينة) ، والثانية بعد المئة (سورة التكاثر) ، والخامسة بعد المائة (سورة الفيل) ، والسادسة بعد المئة (سورة قريش) ، والثامنة بعد المئة (سورة الكوثر) ، والتاسعة بعد المئة (سورة الكافرون) ، والعاشرة بعد المئة (سورة النصر) ، والثالث عشرة بعد المئة (سورة الفلق) ، والرابع عشرة بعد المئة (سورة الناس) .

وأما الآيات التي وردت فيها قراءة الإمام الشهيد فهي : ٤٢٥ آية في ١٠١ سورة (٦) .

وفيما يلي ندرس قراءته من خلال سورة الفاتحة نموذجاً :

وقد عثرت على سبع رواياته القرائية في سورة الفاتحة وتلك في خمس آياتها :

١- ﴿الْحَمْدُ للّهِ﴾ في الآية : ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الفاتحة الآية/ ١) .

قد نسبت قراءتان إلى الإمام زيد بن علي رضي الله عنهما في ﴿الْحَمْدُ للّهِ﴾ ؛ وهما :

﴿الْحَمْدِ﴾ بكسر الدال (٧) ، ﴿الْحَمْدَ﴾ بالنصب أيضاً (٨) .

---

(٦) مقدمة المرجع نفسه .

(٧) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي : ٤٠ (دار ابن حرم ، بيروت – لبنان ؛ طبعة أولى : ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) .

(٨) على لصفحة التالية .

أما الأولى أي ﴿الْحَمْدِ﴾ بكسر الدال ، فنسبت أيضاً إلى (٩)

الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي : ١٣٦/١ (بتحقيق : هشام سمير البخاري دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، طبعة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) .

والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ١٣١/١ (وتحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ على محمد معوض ، والدكتور زكريا النوتي ، والدكتور أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ؛ طبعة أولى : ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م) .

وتفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : ١٢٨/١ (تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ؛ طبعة ثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) .

وروح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي : ٧٧/١ (ضبط وتصحيح : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ؛ الطبعة الثانية : ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) .

ومعجم القراءات القرآنية للدكتورين : أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم : ٥/١ (انتشارات أسوة في إيران ؛ طبعة أولى : ١٤١٢هـ – ١٩٩١م) .

ومعجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب : ٤/١ ، ٥ (دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع) .

(٨) ولم أجد هذه القراءة منسوبة إليه إلا في معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب : ٥/١ ، ٤ .

(٩) انظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٧/١ ، الكشاف : ٥٣/١ (دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ؛ الطبعة الثانية ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م) ، المحرر الوجيز : ٤٠ ، تفسير ابن كثير : ١٢٨/١ ، زاد المسير : ١١/١ ، البحر المحيط : ١٣١/١ ، روح المعاني : ٧٧/١ ، تفسير القرطبي : ١٣٦/١ ، معجم القراءات القرآنية : ٥/١ ، معجم القراءات : ٥/١ ، ٤ .

الإمام الحسن بن أبي الحسن البصري عليه الرحمة (١٠) ، وإبراهيم بن أبي عبلة (١١) ، وأبي نهيك (١٢) ، والحارث بن أسامة بن لؤي (١٣) وغيرهم .

---

(١٠) هو من القراء الأربعة عشر ، إمام زمانه علماً وعملاً ، قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري وعلى أبي العالية عن أبي وزيد وعمر ، وروى عنه أبو عمرو بن العلاء وسلام بن سليمان الطويل ويونس بن عبيد وعاصم الجحدري ، وعيسى بن عمر ، روي عن الشافعي رحمه الله أنه قال : لو أشاء أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته ، ومناقبه جليلة وأخباره طويلة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وذلك سنة إحدى وعشرين وتوفي سنة عشر ومائة ، (انظر : معرفة القراء : الكبار على الطبقات والأعصار ، لشمس الدين الذهبي : ٦٥/١ (مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ؛ طبعة ثانية : ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) .

(١١) قد ورد ذكر قراءته هذه في : معجم القراءات القرآنية : ٥/١ ، والمشهور قراءته الحمد لله (بضم لام الجر اتباعاً لضم دال الحمد) كما ورد في إعراب القرآن : ١٨/١ (دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ؛ طبعة ثانية : ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) ، وزاد المسير : ١٠/١ ، وروح المعاني : ٧٧/١ وغيرهم .

وهو إبراهيم بن أبي عبلة ، ثقة كبير تابعي ، له حروف في القراءات واختيار ، خالف فيه العامة ، في صحة إسنادها إليه نظر ، أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى الأوصابية قال : قرأت القرآن عليها سبع مرات وأخذ أيضاً عن واثلة بن الأسقع ويقال : إنه قرأ على الزهري وروى عنه وعن أبي أمامة وأنس ، وأخذ عنه الحروف موسى بن طارق وابن أخيه هاني بن عبد الرحمن بن أبي عبلة وكثير بن مروان وروى عنه مالك بن أنس والليث وابن المبارك وابن إسحاق وغيرهم ، توفي سنة إحدى ، وقيل : سنة اثنتين وقيل : سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وقال ضمرة بن ربيعة : ما رأيت أفصح منه ، انظر: غاية النهاية في طبقات ❖

نجد في قراءة ﴿الْحَمْد﴾ ثلاث قراءات : ﴿الْحَمْدُ﴾ بالرفع ، ﴿الْحَمْدِ﴾ بالكسر ، ﴿الْحَمْدَ﴾ بالنصب ، السبعة والجمهور قرأوا بضم الدال : ﴿الْحَمْدُ﴾ بالرفع ، وأما الإمام زيد بن علي رضي الله عنهما فقرأ ومن وافقت قراءته بقراءته : بكسر ﴿الْحَمْدِ﴾ كما مر ، فإنهم كسروا الدال لكسرة اللام ، وهو إتباع حركة معرب لحركة غير إعراب ، وهي لغة تميم وبعض غطفان ، يتبعون الأول للثاني للتجانس ، ويقول النحاس في إعراب القرآن : (فأما

❖ القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري : ١٩/١ (مطبعة السعادة مصر) ، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني : ٦١/١ (دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ؛ طبعة ثانية : ١٤١٥ – ١٩٩٥م) .

(١٢) هو علباء بن أحمر أبو نهيك اليشكري الخراساني ، له حروف من الشواذ تنسب إليه وقد وثقوه ، عرض على شهر بن حوشب وعكرمة مولى ابن عباس ، روى عنه داود بن أبي الفرات وعبد المؤمن بن خالد وحسين بن واقد وروى عنه حروفه أبو المهلب العتكي وقد خرج مسلم حديثه ، (غاية النهاية : ٥١٥/١) .

(١٣) هو الحارث بن محمد بن أسامة التميمي ، وقد يقال له : الحارث بن أبي أسامة ، منسوب إلى جده ، ويصل نسبه إلى تميم بن مرة من ولد معد بن عدنان ، ولد في شوال سنة ١٨٦ ، ومات يوم عرفة ضحوة النهار سنة ٢٨٢هـ ، عن ست وتسعين سنة ، سمع علي بن عاصم ويزيد بن هارون وعبد الوهاب بن عطاء وأبا النضر هاشم بن القاسم وروح بن عبادة ومحمد بن عمر الواقدي وعبيد الله بن موسى العبسي وخلقا كثيراً من هذه الطبقة وممن بعدها روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا ومحمد بن جرير الطبري ومحمد بن خلف وكيع ومحمد بن خلف بن المرزبان وأبو عمرو بن السماك وأبو بكر الشافعي وأبو بكر بن خلاد وجماعة غيرهم وهو ثقة ، (انظر : غاية النهاية : ٢٠١/١ ، تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ ، ٢١٩) .

اللغة في الكسر فإن هذه اللفظة تكثر في كلام الناس والضم ثقيل ولا سيما إذا كانت بعده كسرة فأبدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شيء واحد ، والكسرة مع الكسرة أخف) (١٤)

ومنه : [الطويل] .

❖اضرب الساقين أمك هابل❖

بضم نون التثنية لأجل ضمة الهمزة ، ومثله ، [البسيط] .

ويلمها في هواء الجو طالبة

ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب (١٥)

الأصل : ويل لأمها ، فحذف اللام الأولى ، واستثقل ضمة الهمزة بعد الكسرة ، فنقلها إلى اللام بعد سلب حركتها ، وحذف الهمزة ، ثم اتبع اللام الميم ، فصار اللفظ : "ويلمها" (١٦) .

---

(١٤) إعراب القرآن للنحاس : ١٨/١ .

(١٥) البيت لامرئ القيس : ٤٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان طبعة أولى : ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، والبيت فيه :

لا كالتي في هواء الجو طالبة ❖❖❖ ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

من قصيدة صدرها :

وقد أشهد الغارة الشعواء تحملني ❖❖ جرداء معروفة اللحيين سرحوب

وإليه نسب سيبويه في كتابه : الكتاب : ٢٩٤/٢ (مكتبة الخانجي بالقاهرة : طبعة ثانية : ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) ونسبه إلى النعمان بن بشير الصحابي أيضاً في كتابه في باب : ما يتقدم أول الحروف : ١٤٧/٤ .

(١٦) انظر : تفسير القرطبي : ١٣٦/١ ، وتفسير اللباب لابن عادل الحنبلي : ١٧٢/١ ، ١٧٣ (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ؛ طبعة أولى : ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، والدر المصون لأحمد بن يوسف المعروف بالسبعين الحلبي : ٤١/١ ، ٤٢ (دار القلم ، دمشق) .

وأما مسئلة الإتباع فيجوزه القراء مع الإجماع على الشذوذ ، ففيه يروون رواية إبراهيم بن أبي عبلة ﴿الْحَمْدُ للّهِ﴾ إذ يتبع الثاني للأول ، وأما الترجيح في الإتباع أي أيهم أرجح أن يتبع الأول للثاني أو الثاني للأول ففيه رأيان (١٧) .

وأما الثاني : ﴿الْحَمْدَ للّهِ﴾ بالنصب فعلى المصدر ، وبهذه القراءة قرأ (١٨) هارون العتكي (١٩) ورؤبة بن العجاج (٢٠) وسفيان

---

(١٧) وللتفصيل راجع : روح المعاني : ٧٧/١ .

(١٨) انظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٧/١ ، المحرر الوجيز : ٤٠ ، زاد المسير : ١١/١ ، البحر المحيط : ١٣١/١ ، تفسير ابن كثير : ١٢٨/١ ، روح المعاني : ٧٧/١ ، معجم القراءات القرآنية : ٥/١ ، معجم القراءات ١/ ٥ ، ٤ .

(١٩) هو هارون بن موسى الأزدي العتكي بالولاء المنبوز بالأعور ، عالم بالقرآت والعربية ، من أهل البصرة ، وكان يهودياً وأسلم وقرأ القرآن وحفظ النحو وحدث وكان أول من تتبع وجوه القرآت والشاذ منها ، وهو من أهل الحديث روى له البخاري ومسلم ، صنف "الوجوه والنظائر في القرآن – خ" في شستربتي (٣٣٤) وكان قدرياً معتزلياً [الأعلام : ٦٣/٨] .

(٢٠) رؤبة بن العجاج التميمي الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ومن أعراب البصرة وكان رأساً من اللغة ، سمع أباه وأبا هريرة – رضي الله عنه – والنسابة البكري ، وعداده في التابعين ، وروى عنه ابنه عبد الله وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، والنضر بن شميل وخلف الأحمر وأبو عمرو بن العلاء وغيرهم ، توفي في زمن المنصور سنة خمس وأربعين ومائة ، (لسان الميزان لابن حجر العسقلاني : ٤٦٤/٢ ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ؛ الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان : ٣٠٢/٢ (تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان) .

بن عيينة (٢١) وابن السميفع (٢٢) .

وعامة بني تميم وكثير من العرب ينصبون المصادر بالألف واللام ، وهو بفعل محذوف قدروه نحمد بنون الجماعة لأنه مقول على ألسنة العباد ومناسب لنعبد ونستعين لا بنون العظمة لعدم مناسبة لمقام العبادة المقتضي لغاية التذلل والخضوع (٢٣) .

٢- قرأ زيد بن علي ﴿رَبَّ﴾ (٢٤) بالنصب ، في الآية : ﴿الْحَمْدُ

---

(٢١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي ثم الملكي الأعور الإمام المشهور ، ولد سنة سبع ومائة ، وعرض القرآن على حميد بن قيس الأعرج وعبد الله بن كثير والزهري والكبار ومنهم أبان بن تغلب الذي روى عنه ، وروى القراءة عنه سلام بن سليمان ، قال الكسائي : ما رأيت أحداً يروي الحروف إلا وهو يخطيء فيها إلا ابن عيينة ، تو في أول يوم في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون ويقال : إنه حج ثمانين حجة ، وقال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز .

وقال أحمد : ما رأيت أحداً أعلم بالسنن منه ، [تهذيب التهذيب : ٤/١٠٤ ، غاية النهاية : ١/٣٠٨] .

(٢٢) محمد بن عبد الرحمن بن السميفع بفتح السين أبو عبد الله اليماني ، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه ، هو أحد رجال نافع الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم ، قرأ عليه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف ، وفي الجملة القراءة ضعيفة والسند بها فيه نظر وإن صح فهي قراءة شاذة لخروجها عن المشهور على أنه قد أحسن في توجيهها الحافظ أبو العلاء وفيما ذكر لها من الشواهد والمتابعات ، [غاية النهاية : ٢/١٦١] .

(٢٣) روح المعاني : ١/٧٧ . (٢٤) في الكشاف : ١/١٣١ و ١٣٢ ، روح المعاني : ١/٨٤ ، معجم القراءات القرآنية : ١/٦ ، معجم القراءات : ١/٦ .

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الفاتحة الآية/١) .

وهكذا قرأ (٢٥) : أبو زيد ، والكسائي (٢٦) ، وأبو العالية (٢٧) ، وعيسى بن عمر ، وابن السميفع .

قال أبو حيان : وهي فصيحة لولا خفض الصفات بعدها ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ﴾ وضعفت إذ ذاك ، ولكننا نجد أن الأهوازي حكى قراءة زيد بن علي ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ بنصب الثلاثة – كما يأتي – وعلى هذه فلا ضعف في هذه القراءة بل هي فصيحة .

وقد جاء الآلوسي بتفصيل في توجيهه فنحواه أنه قد اختلف في توجيهه : فقيل : نصب على القطع ويقدر العامل هنا أمدح للمقام أو أذكر ، وقيل : بالحمد المذكور ، وقيل : رب فعل ماض (٢٨) .

---

(٢٥) انظر : البحر المحيط : ١/ ١٣١ و ١٣٢ ، معجم القراءات القرآنية : ١/٦ ، معجم القراءات : ١/٦ ، والمحرر الوجيز : ٤٠ ، وفيه : (قرأت طائفة رب بالنصب) .

(٢٦) هو شيخ القراءات والنحو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكوفي الكسائي ، أحد السبعة ، قرأ على حمزة ، وأدب الرشيد وولده الأمين ، وهو من تلامذة الخليل ، قال الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ، [غاية النهاية : ١/٥٣٥] .(٢٧) رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي من كبار التابعين ، أسلم بعد النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر ، أخذ القرآن عرضاً عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس ، قال أبو العالية : كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل .

وقال أبو بكر بن أبي داوود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية ، توفي سنة ، تسعين وقيل سنة ست وتسعين [غاية النهاية : ١/٢٨٤] .

(٢٨) روح المعاني : ١/٨٤ .

٣ ، ٤- قرأ زيد بن علي ﴿الرَّحْمـنَ﴾ ﴿الرَّحِيمَ﴾ (٢٩) في الآية : ﴿الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ﴾ (سورة الفاتحة الآية/ ٢) .

بالنصب على المدح – كما سبق في توجيه نصب "ربّ" .

وهذه هي قراءة (٣٠) : أبي العالية وابن السميفع ، وعيسى بن عمر .

فيهما ثلاث قراءات : الخفض : وهي قراءة الجمهور ، والنصب قراءة الإمام زيد ومن وافقت قراءته بقراءته ، والرفع قرأ به أبو رزين العقيلي والربيع بن خيثم وأبو عمران الجول (٣١) .

٥- قرأ زيد بن علي ﴿نَعْبُدُ﴾ (٣٢) بكسر النون ، في الآية : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة الآية/ ٤) .

وكذا قرأ (٣٣) : يحيى بن وثاب ، وعبيد بن عمر الليثي .

وهي لغة هذيل .

٦- قرأ زيد بن علي "صراطاً مستقيماً" (٣٤) في الآية : ﴿اهدِنَا

(٢٩) البحر المحيط : ١/١٣١ و ١٣٢ ، روح المعاني : ١/٨٤ ، معجم القراءات القرآنية ١/٦ ، معجم القراءات : ١/٦ . (٣٠) انظر : روح المعاني : ١/٨٤ (وفيه عيسى بن عمرو مكان عيسى بن عمر) ، معجم القراءات القرآنية : ١/٦ ، معجم القراءات : ١/٦ . (٣١) روح المعاني : ١/٨٤ .

(٣٢) البحر المحيط : ١/١٤٠ ، معجم القراءات القرآنية : ١/ ١٠ ، معجم القراءات : ١/١٥ .

(٣٣) انظر : البحر المحيط : ١/١٤٠ ، معجم القراءات القرآنية : ١/١٠ ، معجم القراءات : ١/١٥ ، وانظر : المحرر الوجيز : ٤٤ – وفيه : قرأ الأعمش وابن وثاب ، والنخعي : (نستعين) بكسر النون ، وهي لغة لبعض قريش في النون ، والتاء ، والهمزة – .

(٣٤) البحر المحيط : ١/١٤٤ ، روح المعاني : ج/ ١/٩٦ ، معجم القراءات القرآنية : ١/١٢ ، معجم القراءات : ١/١٩ .

الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (سورة الفاتحة الآية/ ٥) .

وكذا قرأ (٣٥) : الضحاك ، ونصر بن علي عن الحسن ، بالتنوين من غير لام التعريف ، كقوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى الآية/ ٥٢) ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (الشورى الآية/ ٥٣) .

هذه القراءة شاذة لكونها مخالفة للرسم العثماني ولو وافقت بقراءة الآخرين من القراء والقياس العربي .

٧- قرأ زيد بن علي "صراط من" (٣٦) في الآية : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ (سورة الفاتحة الآية/ ٦) .

وهكذا نسبت هذه القراءة (٣٧) إلى عمر بن خطاب ، وعلي ، وأهل البيت ، وابن مسعود ، وابن الزبير ، – رضي الله عنهم – وعلقمة ، والأسود – رحمهما الله – .

هذه القراءة شاذة – أيضاً – لكونها مخالفة للرسم العثماني ولو وافقت بقراءة الآخرين من القراء والقياس العربي .

هذه سبع مقامات في الفاتحة ، رويت فيها ثمان قراءات لزيد بن علي رحمهما الله ، ونبذة ما روي عن زيد بن علي رضي الله عنهما في باب القراءة ؛ يبدو من هذا كله أنه (عليه الرحمة) قراءته اشتهرت في زمانه وما بعده إلى زمن المفسرين القدماء

(٣٥) انظر : المحرر الوجيز : ٤٥ ، البحر المحيط : ١/١٤٤ ، روح المعاني ج/ ١/٩٦ ، معجم القراءات القرآنية : ١/١٢ ، معجم القراءات : ١/١٩ .

(٣٦) البحر المحيط : ١/١٤٧ ، روح المعاني ج/ ١/٩٦ ، معجم القراءات : ١/٢٠ .

(٣٧) انظر : الكشاف : ١/٥٨ ، المحرر الوجيز : ٤٥ ، والبحر المحيط : ١/١٤٧ ، روح المعاني : ج/ ١/٩٦ ، معجم القراءات القرآنية : ١/١٢ ، معجم القراءات : ١/٢٠ .

وكانوا على معرفة بها ، ويؤتونها وزناً في المرويات القرآئية الآخرى ، وست روايات قرائية توافق الرسم العثماني ، والقياس العربي ، وقراءة الآخرين ، وأما القراءتان الأخيرتان (صراطاً مستقيماً) في الصراط المستقيم) و (صراط من) في (صراط الذين) شاذتان لكونهما مخالفتين للرسم العثماني .

ونرى مقامات من القراءة فيها اختلاف إعرابي مثل : ﴿الْحَمْدَ﴾ و ﴿الْحَمْدِ﴾ بدل ﴿الْحَمْدُ﴾ و ﴿رَبَّ﴾ بدل ﴿رَبِّ﴾ و ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ بدل ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقد بينا فيها القياس العربي ، والموافقة لقراءة الآخرين ، وأخرى منها اختلاف لغوي في شكل الحروف مثل ﴿نِعْبُدُ﴾ بدل ﴿نَعْبُدُ﴾ أي بكسر حرف المضارع وذلك كما ذكرنا لغة هذيل ، وهذه القراءات لا تخالف الرسم العثماني – أيضاً – وتوافقها روايات القراء الآخرين ، وأما اثنتان أخيرتان (صراطاً مستقيماً) بدل ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ و (صراط من) بدل ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ فيهما مخالفة للرسم العثماني ، فهذا الشيء يجعله شاذاً ولو وافقتها قراءة بعض من الآخرين ، وعدم مخالفة القياس العربي .

وعلى كل حال في دراسة قراءته (عليه الرحمة) لا تخلو من فوائد علمية : دينية ولغوية بلا شك ، وهكذا كل قراءة قرآنية لو كانت متواترةً أو مشهورةً أو شاذةً ، كما قال السيوطي في الاقتراح ، وكما ذكرناه في بداية بحثنا هذا .

❖❖❖❖

العلامة شبلي النعماني رائد النهضة التعليمية الحديثة

دراسة موضوعية لمآثره العلمية والدينية

(الحلقة الثالثة)

بقلم : الأستاذ اے – ایچ - النعماني
ترجمة : الأخ محمد فرمان الندوي

دراسة النعماني للأحاديث وكتب السيرة :

قبل أن يدون العلامة شبلي النعماني سيرة النبي ﷺ عكف على دراسة الثروة الحديثية وكتب السيرة ، وازداد شغفه بالموضوع شيئاً فشيئاً ، وقد علمنا أنه بدأ تأليف سيرة النبي عام ١٩٠٣م ، لكن نشاطاته الأخرى حالت دون ذلك ، فتوقف عن تأليفها ، ثم بدأ تدوينها من جديد عام ١٩١٣م ، يتجلى من دراسة أسلوبه أن أسلوبه القديم تتصف بالجمال الفني فقط ، أما أسلوبه الجديد فكان يتميز بأمانة المحدث وثقة المؤرخ مع روعة التعبير .

مرة قال الشيخ ضياء الحسن العلوي الندوي مراقب المدارس العربية بأترابراديش سابقاً للعلامة النعماني : إن هناك مجالين لخدمة الدين الحنيف : علوم القرآن وسيرة النبي ﷺ ، أولهما يتطلب طول حياة الإنسان ، ويستغرق وقتاً لا بأس به ، فلا يوافق هذا وصحتكم ، أما المجال الثاني فهو ينسجم مع هواياكم ، ثم حضرت بعد مدة فكانت المسودات موجودة ، قدمها إلي طلباً للمشورة ، ثم أسندها إلى المطبعة ، وقد حول إلي جمع بعض المواد ، فجمعتها بتعاون من الدكتور هارويز ، أعتقد أن العلامة النعماني كان مخلصاً في هذا العمل ، وكان فقهه وعلمه بالغين إلى مداهما ، وكيف لا تتلقى الأوساط العلمية كتابه بالقبول ، وقد برح به حب النبي ﷺ .

بداية تأليف كتاب سيرة النبي :

أعلن العلامة النعماني عن تأليف سيرة النبي في مجلة الندوة الصادرة من ندوة العلماء في أوائل القرن العشرين ،

واستشار في بعض الأمور الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني من أكبر مشايخ ندوة العلماء ، فشجعه على إنجازها وقد وعدت ملكة بوفال الهند سلطان جهاں بإجراء المنحة نظراً إلى خطورة هذا المشروع العلمي ، فصدقت في وعدها ، واستمرت منحها إلى مدة بفضل الله عز وجل .

بدأ العلامة شبلي النعماني تأليف سيرة النبي بحماسة روحية ونشاط متكامل ، في ١٦/يونيو عام ١٩١٢م في فندق بالن جي بـ "بمبئ" الهند ، وكان هذا الفندق بعيداً من صخب الأسواق ، فكان أحسن مكان لبداية هذا العمل ، وقد فوض العلامة أموراً إلى بعض تلامذته ، وكان الشيخ العلامة حميد الدين الفراهي مساعداً علمياً له في الدراسات القرآنية ، والعلامة السيد سليمان الندوي في البحث عن الأحاديث الصحيحة والروايات والحكم على الرواة ، والشيخ عبد الماجد الدريابادي في المصادر الأجنبية ، وقد ساعد هؤلاء الثلاثة وفقاً للخطة المرسومة .

مصادر كتاب سيرة النبي:

إن مصادر كتاب سيرة النبي ، السيرة النبوية لابن هشام ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري ، وغيرها من الكتب الموثوق بها ، واستفاد العلامة من صحف بني إسرائيل ، والقرآن الكريم ، وخاض نفسه في دراسة كتب الحديث ، وقد كلف عدداً من زملائه وتلاميذه بترجمة مقتطفات كتب المستشرقين ، كان من بينهم الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الماجد الدريابادي ، بدأ تأليف سيرة النبي حسب هذه الخطة ، وقد أعد مأة صفحة إلى نوفمبر سنة ١٩١٢م ثم إلى غزوة بدر في فبراير عام ١٩١٣ وإلى فتح مكة وغزوة حنين في مارس ١٩١٣م ، لكن صحته ما كانت صالحة لهذا العمل الجليل ، فكان يخشى أن لا يكون هذا المشروع العملي ناقصاً ، وقد أبدى انطباعاته هذه في الرسائل التي وجهها إلىٰ الشيخ عبد الباري الندوي رحمه الله والشيخ عبد الحكيم ، واستقال خلال هذه المدة من منصب رئيس الشئوون التعليمية لندوة العلماء بلكناؤ ، فكان

الآن شغله الشاغل إعداد هذه الموسوعة النبوية ، أقام خمسة أشهر في ممبئ ، وأكمل المجلد الأول حوالي ٥٠٠/ إلى أكتوبر عام ١٩١٣م .

زوبعة حول سيرة النبي:

لما أتم العلامة النعماني المجلد الأول من سيرة النبي أرسل مقدمته لنشرها في مجلة الهلال التي كان يرأس تحريرها الشيخ أبو الكلام آزاد وزير التعليم بالهند سابقاً ، نشرت هذه المقدمة في نفس المجلة ، وعلق عليها رئيس تحرير مجلة النجم تعليقاً لاذعاً فاستغله حساد العلامة النعماني للإساءة إليه ، وأرادوا أن يثبطوا عزيمته ، لكن العلامة النعماني قاوم هذه الزوبعة بهمة عالية ونشاط مستمر ، وأرسل مسوداته إلى الشيخ المفسر العلامة محمود الحسن الديوبندي والشيخ المجاهد عبيد الله السندهي رحمهما الله لطمأنة هؤلاء الحساد ، ولكنهم كانوا سداً منيعاً في هذا الأمر ، فبالرغم من هذه العوائق لم تلن عزيمته ولم تضعف همته ، وظل يؤلف سيرة النبي ويدون قصصها ووقائعها .

وفاة العلامة النعماني ومشروع سيرة النبي:

أصيب العلامة النعماني سنة ١٩١٤ بحادثة وفاة أخيه العزيز ، هذه الحادثة أثرت فيه أيما تأثير وأنهكت قواه ، فكان يفكر فيمن يكمل سيرة النبي ، فأرسل برقيات قبل وفاته بثلاثة أيام إلى الشيخ العلامة عبد الحميد الفراهي مؤلف الإمعان في أقسام القرآن وغيره من الكتب ، والعلامة السيد سليمان الندوي ومولانا أبي الكلام آزاد يدعوهم إلى أعظم جراه ، وقد وصل العلامة السيد سليمان الندوي لعيادته إلى أعظم جراه قبل وصول البرقية إليه ، فنظر إليه العلامة النعماني نظرة تلهف وقال : إن سيرة النبي حصيلة حياتي كلها ، اشتغل بها وأكملها ! فأجاب العلامة الندوي : إن شاء الله ، ثم عاده العلامة عبد الحميد الفراهي فقال له ثلاث مرات : سيرة النبي ، ثم انهارت صحته فلفظ أنفاسه الأخيرة في ١٨/نوفمبر عام ١٩١٤م ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

بدأ هذا العبقري حياته العلمية بتأليف كتيب حول السيرة

باسم بدر الإسلام ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى عند ما كان يشتغل بتأليف سيرة النبي وفقا لمقتضيات العصر ، وقد أكمل المجلدين الأولين ثم تناول هذا الموضوع تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي فحقق أمنية أستاذه بإخلاص وجهد ، فطبع المجلدان الأولان باعتنائه في عام ١٩٢٠م ، والمجلد الثالث عام ١٩٢٤م ، والمجلد الرابع عام ١٩٣٢م ، والمجلد الخامس عام ١٩٣٥م ، والمجلد السادس عام ١٩٣٨م ، والمجلد السابع بعد وفاة العلامة السيد سليمان الندوي باعتناء من الشيخ صباح الدين عبد الرحمن رئيس مجمع دار المصنفين سابقاً عام ١٩٨٠م ، وليعلم أن العلامة النعماني قد اهتم بجمع المواد كلها في حياته ، فانتهج تلميذه منهجه في تدوين القصص والوقائع ، جاء الكتاب إلى حيز الوجود ونال شهرة فائقة وصيتاً حسناً ، فكان أوثق كتب السيرة رواية ودراية باللغة الأردية .

الفاروق :

هذا الكتاب ألفه العلامة النعماني رداً مقنعاً على ما حطه المستشرقون من مكانة الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين ولا سيما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي كان لنا أسوة نادرة في التاريخ ، كان من مشاريع العلامة العلمية أن يعد سلسلة عباقرة الإسلام ، فكان باكورة أعماله "الفاروق" الذي يجمع بين أحوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشخصية وتاريخه وسيرة عصره .

أهمية تأليف كتاب الفاروق :

إن مستشرقي أوربا كتبوا في كتاباتهم أن الخلفاء المسلمين اعتدوا على أقوام غير مسلمة إبان حكوماتهم ، ووجهوا تهمة إحراق مكتبة الإسكندرية إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هذا في جانب ، وفي جانب آخر ما زال موضوع نظامي الإسلام السياسي والاقتصادي حديث المجالس ، كتب الباحثون بحوثاً ومقالات لكنهم لم يقدموا نموذجاً لهذين النظامين ، فكانت الحاجة إلى عرض حياة ومآثر وبطولات سيدنا

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي صورة صادقة لكلا النظامين ، نظراً إلى هذا وأمثاله من التساؤلات ألف العلامة النعماني كتاب "الفاروق" ، بدأ العلامة النعماني تأليف هذا الكتاب في ١٨/ إغسطس عام ١٨٩٤م ، وأنجزه في ديسمبر عام ١٨٩٨م .

أسلوب الدراية في كتاب الفاروق :

نظراً إلى نقد الوقائع والقصص قام العلامة النعماني بتعيين أصول وقواعد ، وهي على ما يأتي :

(١) "إن المواد صحيحة من حيث الاستناد والرواية أم لا ؟

(٢) كيف كانت اتجاهات الناس نحو الوقعة الطارئة آنذاك ؟

(٣) فإذا كانت الوقعة ذات أهمية ، فهل كانت شهادة الثبوت بالنسبة إليها أوثق أم لا ؟

(٤) البحث في روايات الرواة بحيث كم نسبة للقياس اندمجت فيها .

(٥) إن القصة المحكية صورة صادقة للحقيقة أم أن الراوي لم يستوعب جميع أجزائها ؟

(٦) تقويم الروايات من حيث أساليبها المتنوعة واختلاف أزمنتها ، وما هي التغييرات التي حدثت فيما بعد" ؟

وقد وضع العلامة النعماني نصب أعينه أموراً نذكرها في السطور الآتية :

(١) "إن بعض القصص تحمل جوانب مختلفة ، وتأتي ضمن عناوين متنوعة ، فتكررت مثل هذه القصص في الكتاب ، وكان هذا أمراً لازماً ، لكنه التزم بأن يذكر جزء القصص الذي يوافق عنوانه .

(٢) إن مراجع الكتاب لم تذكر إلا في الوقائع التي تحتاج إلى بحث ، وتنال نوعاً من الأهمية .

(٣) إن الكتب التي هي أقل قيمة من حيث الاستناد مثلاً إزالة الخفاء والرياض النضرة ، لم تذكر موادها إلا بعد مراجعتها في الكتب الموثوق بها" (مقدمة الكتاب) .

(يتبع)

دراسات وأبحاث :

الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي
(عميد التعليم : المعهد العالي حيدر آباد)

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم عليم على قلب سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الأمين ، رسول الله الكريم - ، ﷺ - وأنه معجز بلا خلاف ، لا يساويه كلام مهما كان إذ لا قدرة لأحد أن يأتي بشيئ مثله لا سورة ولا أقل وأكثر ، قال تعالى : ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء الآية/٨٨) ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (الفرقان الآية/٣٣) .

ولا يستطيع أحد أن يأتي بلفظ كلفظه ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر الآية/٢٣) .

ولا أن يأتي بحكم كحكمه ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة الآية/ ٥٠) وهذه الآية الكريمة الأخيرة من سورة المائدة تشير إلى الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم كما لا يخفى على من تأمل وخاض فيها .

ومن المعلوم أن العلماء المحققين المفسرين والأصوليين والبلغاء الأقدمين بينوا وجوه إعجاز القرآن من جهات مختلفة ، ولكن هناك وجها لم يتعرضوا له أصلا ، أو ذكروه بإشارة عابرة ، وهو الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم مع أن القرآن أشار إليه بنفسه كما سبقت الآية آنفاً ، وذلك من أهم وجوه ومقاصد نزوله الأصيلة ، فأرى المفسر الكبير العلامة القرطبي أنه أشار إشارة عابرة إلى أن تشريع القرآن أيضاً من وجوه الإعجاز ، فيقول في

كتابه ، "الجامع لأحكام القرآن في بيان وجوه الإعجاز" : "ومنها ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام ، في الحلال والحرام ، وفي سائر الأحكام" (١) .

ويقول الإمام محمد أبو زهرة بعد ما نقل قول القرطبي : "وهو بهذا يشير إلى أن الشريعة وما اشتملت عليه من أحكام منظمة للأسرة والتعامل الإنساني - هي وجه من وجوه الإعجاز" (٢) .

وزاد على قولهما الدكتور المحقق وهبة الزحيلي : "فهو يشتمل على العلوم الإلهية ، وأصول العقائد الدينية ، وأحكام العبادات ، وقوانين الفضائل والآداب ، وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان" (٣) .

لما أردت أن أكتب مقالة حول موضوع "الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم" لكي أقدمها في ندوة علمية منعقدة على عموم الهند حول موضوع مركزي "إعجاز القرآن" في رحاب الكلية اے - کے - ایم - (التابعة للجامعة العثمانية) حيدر آباد ، بولاية آندرا براديش ، الهند ، لاحظت القرآن لمعرفته ، وطالعت كتبا لتحقيق هذا الهدف العظيم الأسمى وتأملت كثيراً ، فظهرت جوانب للإعجاز التشريعي بعد التأمل العميق والخوض الطويل في الموضوع ، وهي كما يلي :

١- وفاء القرآن بحاجات المجتمع البشري :

نزل القرآن الكريم في أمة ترزح تحت أعباء الجاهلية واكتست من الجهل سربالاً بعقائد منحرفة وتشريعات ضالة وأخلاق رذيلة ومجتمع متفكك العرى ، لا سياسة توحد صفوفهم ، ولم تكن ثم سياسة داخلية بينهم تقوم على العدل والمساواة الحقة ، ولا سياسة خارجية تربطهم بالدول المجاورة فيدخلون على ملوكها كما يدخل عليهم سائر الناس ، ولا مصلحة اقتصادية تربط بينهم ،

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١/٥٤ ، ط ١/ دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٨هـ .
(٢) أصول الفقه ، ص/٨٥ .
(٣) التفسير المنير ١/٢٢ .

فقد كانوا يأكلون الربا أضعافاً مضاعفة ، وكان يأكل القوي منهم الضعيف ، وكانوا يهضمون حق المرأة بالكلية ، ويسترقون الرجال بلا حق ، وكان المجتمع قائماً على العصبيات والفوارق الاجتماعية ، والتمايز والتفاضل بينهم ، يقوم على الحسب والنسب ، ونزل القرآن وهم على هذه الجاهلية ، فجاء وافياً بحاجات المجتمع ، فأصلح العقيدة بالتوحيد والتذكير بالمبدأ والمعاد .

وأصلح العبادات بإرشادهم إلى ما يزكي النفوس ويغذي الأرواح ويطهر القلوب .

وأصلح الأخلاق ، فبين فضائلها وأمر بها ، وكشف عن رذائلها وحذر منها ونفر الناس عنها .

وأصلح المجتمع بمحو العصبيات الجاهلية ، وبإزالة الفوارق الاجتماعية التي كانت تباعد بينهم ، وأرشدهم إلى "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى" (٤) ، و ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات الآية/١٣) وذلك بإشعارهم أنهم جنس واحد من نفس واحدة ومن عائلة واحدة ، أبوهم آدم وأمهم حواء .

وأصلح سياسة البلاد في الداخل بالحكومة الإسلامية العادلة عن طريق تقرير العدل المطلق والمساواة بين الناس ، ومراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات من الحق والعدل والوفاء بالعهود والرحمة والمؤاساة والمحبة ، واجتناب الرذائل من الظلم ، والغدر ، ونقض العهود ، والكذب ، والخيانة ، والغش ، وأكل أموال الناس بالباطل كالرشوة والربا والمتاجرة بالدين والخرافات ، وأصلح سياسة البلاد في الخارج بإقامة علاقات سياسية تحفظ حقوقهم هناك .

وأصلح المال والاقتصاد ، فأمر بالزكاة والصدقة والإنفاق في وجوه البر وأداء الحقوق الخاصة والعامة والسعي المشروع ، وحرم الربا ، وحث على الزراعة والصناعة والحرفة والعمل والإنتاج ،

(٤) مسند أحمد : ٤١١/٥ .

وحذر من البطالة .

وأعطى المرأة حقوقها في المال ، وفي البيع والشراء ، وفي اختيار الزوج ، وفي الإرث ، وغير ذلك ، حتى بوأها منزلة لم تعط مثلها في كل المجتمعات وفي جميع الأديان .

وأعطى الحرية الكاملة لكل من بلغ سن الرشد بلا فرق بين ذكر وأنثى ، وعامل المدنيين بأرفق معاملة إذا عجزوا عن سداد الدين .

ودعا لتحرير الرقيق وجعله كفارة للأيمان والظهار والنذر ، وحث على عتق الرقاب ، وحذر من الجور عليهم واسترقاق الأحرار بغير حق .

وأصلح الحرب عن طريق تهذيب الحرب ووضعها على قواعد سليمة لخير الإنسانية في مبدئها وغايتها ، ووجوب التزام الرحمة فيها ، والوفاء بمعاهداتها ، وإيثار السلم عليها ، والاكتفاء بالجزية عند النصر والظفر فيها .

وحرر العقول والأفكار ، ومنع الإكراه والاضطهاد والسيطرة الدينية القائمة على الاستبدال : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية الآية/٢١) (٥) .

وقد جاء كل هذا بواسطة رسول أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يعلم أحد أن هذه الأحكام جاءت في قانون قبله ، وإذا كان القانون الروماني قد كان نتيجة تجارب منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ، وانتفع من نظم أثينا ، ونظم اسبرطه ، وجمهورية أفلاطون ، وكتاب السياسة لأرسطو وغيره – ومع ذلك كان ناقصاً بالنسبة لما جاء به ذلك النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يجلس

(٥) ملخص من : أصول الفقه للإمام محمد أبي زهرة ، ص/٨٥ – ٨٨ وخصائص القرآن للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، ص/٧٢ – ٧٥ ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني : ٢٣١/٢ – ٢٣٣ ، ط دار المعرفة بيروت .

إلى معلم مؤدب ، فبأي شيء نفسر سبق شريعة القرآن ، وإذا كان هو يقول : إنها من عند الله فبأي حق نكذبه ، والأمارات شاهدة ، والبينات قاطعة .

ومن المعلوم والحقائق الثابتة أنه حين التزم القوم العربي تلك المبادئ المذكور أعلاها انقلب ثم مجتمعهم في زمن هو بالنسبة للقرون من بعدهم كلمح البصر إلى خير القرون ، وما ذاك إلا لأن فيه وفاءً بحاجات مجتمعهم .

ويتبين من ذلك أن القرآن وفى بحاجات مجتمع بشري عربي كاد أن يهلك ويقع في حفرة من النار فأنقذه منها ، ورفعه من أدنى درجات الجاهلية العمياء إلى درجة المثالية الإسلامية ، وقلبه إلى أن صار خير المجتمعات الإنسانية العالمية ، وأطلق عليه "خير القرون" فظهر منه أن القرآن كلام الله وحده بلاريب حقاً ، الذي يستطيع أن يوفي بحاجات الأمم الأخرى أيضاً في معنى واسع ، وينقذها من أن الوقوع في التهلكة من جميع جهات ، ويستطيع أن يوفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر وفاءً لا تظفر به في أي تشريع ولا في أي دين آخر .

ويستفاد منه أيضاً أن ذلك الانقلاب الهائل المدهش لم يقع كلمح البصر إلا بسبب أن القرآن الكريم معجز تشريعي أيضا كما هو معجز بوجوه أخرى ، ويقول الإمام محمد أبو زهرة بعد ما استعرض الإعجاز التشريعي وألقى الضوء عليه :

"لذلك نقول : إن شريعة القرآن هي أقوى وجوه الإعجاز ، وهي الدالة على إعجازه إلى يوم القيامة ، وهي قائمة إلى اليوم حجة على العربي والأعجمي لا يفترق في قبولها من يعرف لسان القرآن ، ومن لا يعرفه ، وهي شفاء لأسقام المجتمعات كما قال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس الآية/٥٧) (٦) .

(يتبع)

(٦) أصول الفقه للإمام محمد أبي زهرة ، ص/ .

صور وأوضاع :

القيادة الإسلامية أمام تحديات جديدة

بقلم : الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

تمر الأمة الإسلامية بأصعب فترات ، لا يوجد لها مثيل في التاريخ ، باعتبار عموم المشاكل وشمولها ، وبتعبير أوضح تألم سائر جسدها ، وتناخر سائر بنيانها ، فإن مشاكلها ومعاناتها تعم العالم كله، وتلمس آثارها في سائر الأجزاء التي فيها وجود إسلامي .

وهذه المشاكل أو المحن تبدأ من العقيدة ، إلى الحياة الاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية، والاقتصادية ، فهي شاملة لسائر جوانب الحياة .

ومن حيث العموم أن هذه المشاكل توجد في سائر البلدان التي يعيش فيها المسلمون ، سواء كانوا في أغلبية ، أم كانوا في أقلية ، فهي عامة من الصين في جانب إلى أمريكا في جانب آخر ، أي من الأقصى إلى الأقصى .

كان المسلمون في التاريخ الماضي عرضة للمحن في مناطق معينة ، و كانت لهم مناعة وصولة وغلبة في مناطق أخرى ، فكان يقال إن شمس الإسلام إذا غربت في جزء في العالم ، طلعت في جزء آخر في العالم ، وكانت محنتهم عسكرية ، وهي محنة محدودة التأثيرو النتائج ، وكانت هذه المحنة تحدث في المسلمين اندفاعا وثورة ، ثم إنها تزول وتمحي آثارها بعد مدة .

إن الوضع اليوم يختلف عن أوضاع المسلمين في تاريخهم الماضي حتى عهد الاستعمار الذي كان قد سيطر على سائر العالم الإسلامي ، لم يكن أخطر من الوضع الحالي.

لاشك أن الإسلام اليوم يكسب نفوسا جديدة ، وله وجود في مناطق جديدة لم يكن له وجود فيها في الماضي ، وانتشرت مراكز إسلامية ، وشيدت مساجد ، و يجري إنشاء مدارس في أوربا ، حيث لم يكن لهذه المؤسسات في الماضي وجود ، والكتاب

الإسلامي اليوم ذائع ومنتشر في المناطق غير الإسلامية وكراسي الدراسات الإسلامية مفتوحة في الجامعات العالمية، وفرص دراسة الإسلام متاحة اليوم أكثر مما كانت في الماضي ، وقد كان الإسلام محصوراً ومنحازاً في الماضي في المناطق الإسلامية ، والبيئات الإسلامية، وفي لغات المسلمين الخاصة .

إنها لا شك ظاهرة جديدة تبشر بخير ، وتجنى ثمارها ، وتلمس آثارها .

ولكن مقابل ذلك، المخططات العالمية المدعمة بسائر الوسائل الفكرية ، و السياسية ، والاقتصادية، والعسكرية التي تستهدف الإسلام والمسلمين في هجماتها لا تقل خطورة بل تتذر بخطر جسيم للأمة الإسلامية بأسرها وهي في حالة التنفيذ ولم تعد مجرد مخططات ، بل دخلت في حيز التنفيذ ، يجري العمل بها .

وهذه المخططات التي تعدت إلى حيز التنفيذ تحمل طبيعة الغزو العسكري والغزو السياسي، والغزو الفكري، والثقافي معاً، ومما يزيد البلاء شدة، وضخامة هو سد سائر منافذ الدفاع فضلاً عن الكفاح ، حتى الدفاع عن النفس أو تبرئة النفس عما يلصق بها من تهم ، أوإدانة على أقل تقدير ، فيصدق عليها المثل العربي "رمية من غير رام" .

يواجه المسلمون اليوم دعاية مكثفة ضد الإسلام والمسلمين،ولا يستطيعون أن يردوا هذه الدعاية ، رغم وجود صلاحيات وقدرات فيهم ، ورغم كون الحق معهم فإنهم بعيدون كل البعد عما يشاع عنهم في الإعلام، لأنهم لا يملكون وسائل الإعلام القوية، وقد أغلق المعادون لهم سائر الإمكانيات البشرية والعلمية، وتساندهم في ذلك حكومات المسلمين أنفسهم، لأنها خضعت رغبة أو رهبة للقوى العالمية التي تحارب الإسلام، فتساعد هذه الحكومات على تنفيذ هذه المخططات .

وأخطر من ذلك ما يجري تنفيذه في مناهج التعليم ، وإخراج المواد التي تحدث في الطلبة وعياً إسلامياً ، فإنه يؤدي إلى تجريد المسلمين من الشعور و الوعي الإسلامي المتميز ، والإحساس بما يحاك ضدهم من مؤامرات .

وقد عمت هذه الحملة العالم كله ، فانطلقت حركات عالمية ضد المدارس الإسلامية ، والكتاتيب الإسلامية في بلدان الأقليات الإسلامية وبلدان الأغلبية الإسلامية .

إن الحرب التي يواجهها المسلمون اليوم قد اتخذت اتجاهاً جديداً لم يعرف في الماضي ، وهي الحرب النفسية ، والشعورية ، وهي أخطر من حرب الأعصاب أوالحرب الباردة التي جرت بين أوربا الغربية وأوربا الشرقية في عهد الاتحاد السوفيتي، إنها حرب غير مرئية يتصدى لها المعرض لها، فقد اتخذ الأعداء طرقاً غير مباشرة لحرب الإسلام، وهي الخداع والمكر والجدل لإحلال إسلام يتطابق مع تصورهم بدلاً من محاربة الإسلام علناً .

ومن وسائل الدعاية ضد الإسلام التي تعتمد عليها الاستراتيجية الجديدة ، هي الشعر ، والنكات السياسية ، والموسيقي ، وأدوات التسلية ، واللعب ، والأزياء ، ومواد الاستهلاك والبضائع التي تستخدم فيها إشارات مهينة لعقيدة الإسلام ، أو المنهج الإسلامي ، وترويج المفاهيم الخاطئة المنحرفة عن الإسلام باستخدام كفاءات لائقة لها من الأدباء والفنانين ، وينال الذين يؤدون هذه الإساءات، دعماً سياسياً، ووقاية من غضب أهل الغيرة من المسلمين .

و بجانب ذلك يواجه المسلمون في بلدان هم فيها في أغلبية، صراعات مسلحة بين مختلف الفرق والعصابات التي تدعمها الجهات الخارجية ، والعناصر المغرضة، فيجري سفك دماء المسلمين بأيديهم ، و مسرح ذلك الذي ينال دعماً من الدول الخارجية: الصومال ، والسودان ، باكستان ، واليمن ، وأفغانستان ، والعراق ، التي تحدث فيها صراعات مسلحة بين مختلف فئات المسلمين ، أوتفجيرات انتحارية ، يذهب ضحيتها المسلمون، والهجمات على مراكز و مؤسسات وطنية ، كما يواجه المسلمون ضغوطاً و معاكسات من الأغلبية غير الإسلامية ، في البلدان التي هم فيها في الأقلية ، أولهم تمركز في بعض المناطق ، وهم محاطون بأغلبية غيراسلامية كتائلند ، وبورما ، ونيجريا ، فيجري سفك دماء المسلمين بالإضافة إلى محاولات الإساءة إلى

الإسلام وتجريح مشاعر المسلمين في الكتب الدراسية ووسائل الإعلام وتثارالشكوك والشبهات في ولائهم للوطن ، واتهامهم بالتزمت و الإرهاب .

يواجه المسلمون اليوم غزواً استعمارياً موسعاً ، لا يشترك فيه بلد واحد ، ولا يتعرض له بلد واحد ، ولا يستخدم فيه تيكتيك أو استرتيجية واحدة ، بل تستخدم طرق متنوعة ، فقد استولى الاستعمار على عدة بلدان علنياً ، ويخطط لبسط نفوذه في البلدان الأخرى .

وفي المجال الاقتصادي انتقلت ثروة أصحاب الخير في سائر البلدان الإسلامية إلى القوى الأجنبية لأنها تستولى على البنوك ، والمصارف ، وجمعيات التمويل ، فلا يستطيع أهل الخير أن يتصرفوا في مالهم الذي كسبوه من عرق جبينهم وكد يمينهم حسب رغبتهم، فتملي عليهم القوى الأجنبية طرق الإنفاق حتى في أموال الزكاة والبر والصدقات، وتعين مصارفها .

وأخطر من ذلك أن المسلمين يواجهون اليوم حملات التشويه، والتزوير ، والتحريف، بأقلام بعض أدعياء الفكر الإسلامي وزعماء الإصلاح المزعومين من الذين ينتمون إلى الإسلام ، أو يدعون أنهم مسلمون، درسوا الإسلام ، و يروج هؤلاء الكتاب أفكاراً جديدة ، واتجاهات جديدة، يحدث الشذوذ الفكري في أوساط المسلمين، وتعارض بين الدعاة والمصلحين وصراع فكري وعملي، وقد كان هذا العمل يقوم به المستشرقون وحملة الأقلام الغربية المعروفون ، وكان ذلك أمراً مكشوفاً ، فقد كانت كتبهم في السيرة النبوية ، وفي التاريخ الإسلامي ، والعلوم الإسلامية مكشوفة ، ومحدودة الانتشار ، لا تنتشر إلا في أوساط المثقفين ولكن الخطر الحديث الذي ينبعث من أوساط أو عناصر تدعي الانتماء إلى الإسلام أكثر خطراً من الخطر الماضي ، فإن هذه الكتب والمؤلفات بأقلام مؤلفين لهم أسماء إسلامية تخدع الذهن الساذج ، وهي بالعربية والفارسية والإنجليزية ، ولغات المسلمين الأخرى ، وقد سهل هذا العمل ووصوله إلى عامة القراء الصحف ، والمجلات ، والانترنت ، والتسجيلات ، والمنشورات ،

وقد انتشرت هذه الأفكار الشاردة ، وأحدثت في القراء اضطراباً فكرياً ، وشكوكاً وشبهات في الثوابت والمسلمات .

إن هناك حرباً عسكرية وحرباً فكرية ، وحرباً ثقافية ، وخطراً خارجياً ، وخطراً داخلياً ، والذين يشنون هذه الحروب هم أحرار، ينالون كل دعم من القوى الخارجية والداخلية، أما الذين يقدرون على مواجهة هذه الحروب، هم مقيدون مكبلون أو لا يعرفون الواقع ، فيسكتون ، أو يحبون العافية ، فيلازمون الصمت أو مشتغلون بقضايا ومسائل فرعية أو بالية ، ويصرفهم الانشغال بهذه المسائل والأمور عن الاهتمام بالقضايا الحاسمة التي يتوقف عليها مصير الأمة الإسلامية

يواجه المسلمون خطر التنصير العالمي ، وقد انتشرت شبكات التنصير بفروعها المختلفة التعليمية والتبشيرية في عدة بلدان إسلامية، وتصاعد نشاطه في البلدان المنكوبة بالحروب ، أوالصراعات الطبقية ، أوالاقتصادية ، وفتحت كنائس في البلدان التي لم تعهد بها كالإمارات ودول الخليج ، وأفغانستان والعراق ، وتبذل مجهودات لتغيير نسبة السكان الدينية في البلدان الإسلامية ، وهو أيضاً خطر جسيم ، وتدعم القوى الخارجية الأقليات غير الإسلامية في بلاد المسلمين عسكرياً واقتصادياً و تحرضها على المطالبة بالاستقلال كما حدث في إندونيسيا ويجري الآن هذا العمل في السودان .

إن هذا الوضع يشبه الوضع الذي سبق الاستعمار الغربي ، فاستغلته الدول الأوربية لاستعمار المناطق الإسلامية باسم الوصاية ، أوالحماية، أوالانتداب .

إن الاستيلاء على آراضي المسلمين قد حدث مرات في التاريخ ، ولا يشكل ذلك خطراً كبيراً ، وقتل النفوس ، والتخريب، وأعمال الهدم في منطقة من المناطق الإسلامية أيضاً وقع كثيراً ، وتعرض المسلمون للإجراءات التعسفية لقوة من القوى، ولكن الوضع اليوم هو بمثابة وباء يعم العالم كله ، وهوإدانة الإسلام و المسلمين، وتحميلهم مسئولية الفساد في العالم

كله، وبذلك أصبح المسلم في كل مكان مشبوهاً يخشاه الناس ، ويؤخذ الأبرياء ، ويعاقبون على أعمال أو نوايا منسوبة إليهم .

إن هذا الوضع هو أخطر من الحروب والمآسي ، ويشير إليه ما كتبته مجلة اكنومست عن المسلمين الذين يعيشون في أوربا ، ويصدق على المسلمين الذين يعيشون في بيئة غير إسلامية ، أن المشكلة اليوم هي أن العدو مجاورنا ، وهو في صفوفنا ، وإن محاربة العدو الخارجي سهل ، ولكن محاربة العدو الكامن الدخيل صعب .

تقوم بعض الجهات بمحاولات لالتقاء الأديان المختلفة و تجري الحوار بين مختلف الأديان ، ولها نتائج مشجعة ، وقد تغيرت أذهان كثير ممن كانوا يعادون الإسلام، بفضل هذه اللقاءات ، وإتاحتهم فرص دراسة الإسلام ، وإنه لمبادرة جاءت في وقتها ، ولكن القوى العالمية مكبة على توسيع هذه الفجوة ، بل تركز على الهجوم على التعاليم الإسلامية السمحة باعتبارها مسئولة عما تسميه بالإرهاب ، وتغض بصرها عن سائر عناصر الإرهاب في العالم ، والحركات المتطرفة العدوانية المنتشرة في العالم التي لا تخفي عداءها لعناصر أو أديان أو مذاهب فكرية أخرى ، وهي منتشرة في أوربا وأمريكا ، وفي الوقت نفسه تبث وسائل الإعلام العالمي مواد كراهية الإسلام والمسلمين ، وتنشر الكتب والمؤلفات المعادية للإسلام ونبي الإسلام ، فإذا لم تهدأ هذه العاصفة يظل توفيق هذا المجهود الذي بادرت إليه هذه الجهات محدوداً .

إن هذا المجهود لن يوفق ويثمر إلا إذا اشترك فيه الكتاب والإعلاميون، والساسة في العالم كله ، وأسهموا في إيجاد الثقة المتبادلة والتفاهم بين أتباع مختلف الديانات والحضارات .

وكمتهمين تعود المسئولية أكثر إلى المسلمين أن يكافحوا هذا التيار بوسائل العلم ، والإعلام ، واللقاءات ، والحوارات ، ويوسعوا نشاطهم بل يمنحوه الأولوية في أعمالهم ، وفي الوقت نفسه يحترزوا عن الأعمال الصادرة من ردود الفعل و يصبروا على ما يواجهونه من استفزازات ، لأنها تمنح هذه الدعاية الوقود ، كما

يجب على الحكام المسلمين والقادة السياسيين والمسؤلين عن أجهزة الأمن أن يتخذوا إجراءات رادعة ، ويكتشفوا الجهات المعنية المسئولة عن إحداث هذه الأوضاع .

يتطلب الوضع اليوم وعياً ، وشعوراً ، وفراسة ، ودراسة، ومعرفة ، وحكمة ، وأسلوباً متكافئاً لمواجهة الأخطار الناشئة التي تهدد مصير الأمة الإسلامية ، ووجودها كأمة متميزة ذات رسالة وقيادة وشهادة .

لقد كانت الأخطار السابقة محدودة لا تعدو الخطر العسكري ، لكن الخطر المعاصر هو خطر علمي وفكري ، وثقافي ، وخطر داخلي ، وخارجي ، ولذلك أنه لا يحتاج إلى أسلوب عسكري ، كما تلجأ إليه بعض العناصر، أو يفكر فيه بعض القادة ، أوزعماء الحركات المنعزلة ، المتطرفة ، بل يزيد الوضع حدة وتوتراً ، وتحدث مشاكل ، وعقبات في عمل الإصلاح ، وإنما يحتاج إلى أسلوب علمي و فكري، وإعلامي ، ومن حكمة الدفاع أن يستخدم السلاح الذي يستخدمه العدو ، وأن تعرف هوية العدو الحقيقي ووسائله التي يستخدمها ، إليه تشير الآية الكريمة:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ❖ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال الآية/ ٦٠ - ٦١) .

إن فشل المسلمين في المعركة التي هم فيها ، يرجع إلى أنهم يختارون الوسائل التي لا تناسب الوضع، ولا تستند على الدراسة ، وعندما يدرك المسلمون طبيعة المعركة يكون النصر حليفهم ، ويخرجون من مأزقهم الذي وقعوا فيه منتصرين .

بأقلام الشباب :

من معاني القرآن :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي (١٨٨٤- ١٩٥٣م)

(١٨)

بقلم : الأخ محمد فرمان الندوي

الإسراء :

الإسراء : المشي بالليل والذهاب بأحد ليلاً ، وقد كان سفر النبي ﷺ هذا الذي حير العقول وأدهش الألباب ليلاً فسمي بالإسراء ، قال الله عز وجل : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء الآية/١) يعرف عامة الناس أن قصة الإسراء وردت في الآيات المفتتحة لسورة الإسراء ، لكني قرأت هذه السورة غير مرة من أولها إلى آخرها ، ولما فرغت من تلاوتها والتأمل فيها أيقنت أنها مفعمة بدقائق الإسراء والمعراج ، ومملوءة بالأحكام والإعلانات والنتائج والعبر ، أذكر هنا عناوين بارزة لهذه السورة :

(١) إعلان عن أن النبي ﷺ نبي القبلتين (الكعبة وبيت المقدس)..

(٢) إخبار بأن اليهود الذين كانوا ورثة بيت المقدس وسدنته وحاملي مفتاحه تنتهي مدة إشرافهم عليه وتوليتهم ، وتتحول هذه المسئولية إلى آل إسماعيل للأبد .

(٣) إطلاع كفار قريش على أن مدة وعظهم قد انتهت ، وجاء وقت العذاب الذي يطلبونه بأن الرسول ﷺ يهاجر إلى المدينة .

(٤) يؤذن الرسول ﷺ للهجرة وفقاً لسنة الرسل ، ثم ينزل العقاب على الكفار .

(٥) أحكام وآداب الإسراء .

(٦) فرضية الصلوات الخمس .

(٧) ردود على تساؤلات الكفار حول المعجزات والنبوة والقرآن

والقيامة .

(٨) الاستشهاد بأحوال موسى عليه السلام الشخصية وقصصه (١) .

إن محمداً رسول الله ﷺ أكرم بجائزتين خاصة سوى الصلوات الخمس ، أولاهما أن من لم يشرك بالله من هذه الأمة يدخل الجنة ، وأخراهما الآيتان الآخيرتان لسورة البقرة ، يقول الله عز وجل : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ❖ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة الآيتان/٢٨٥ – ٢٨٦) (٢) .

شرح الصدر :

اختلف العلماء في تعيين حقيقة شرح الصدر في القرآن الكريم ، فيقول الإمام الدهلوي : "أما شق الصدر وملؤه إيماناً فحقيقته غلبة أنوار الملكية ، وانطفاء لهب الطبيعة وخضوعها لما يفيض عليها من حظيرة القدس" (٣) وإليه ذهب العلماء والعارفون بشريعة الله والسالكون لطريق الله خاصة أن الألفاظ الصريحة تارة تصطبغ بصبغة التمثيل ويقولون : إنها حقائق علم الآخرة حيث الأحوال الروحية تلوح في الصور الجسمية كظهور الأحوال التمثيلية في المنام بالصور الجسمية ، فقصص الإسراء عندهم من هذا النوع .

وأنا أعتقد أن شرح الصدر هو ما جاء في الجامع الصحيح للإمام مسلم في باب الإسراء عن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ

(١) سيرة النبي ج/٣/٢١٦ – ٢٤٦ . (٢) سيرة النبي ج/٣/٢٦٠ – ٢٦١ .

(٣) حجة الله البالغة ج/٢/٢٠٦ ، المكتبة الأشرفية بديوبند ، الهند .

قال : "فشرح صدري إلى كذا وكذا" (٤) ويشرح هذا الإجمال ما رواه الإمام الترمذي عن أنس بن مالك عن صعصعة – رجل من قومه – أن نبي الله ﷺ قال : بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، إذ سمعت قائلاً يقول : أحد بين الثلاثة ، فأتيت بطست من ذهب ، فيها ماء زمزم ، فشرح صدري إلى كذا وكذا ، قال قتادة : قلت لأنس : ما يعني ؟ قال : إلى أسفل بطني ، قال فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد إلى مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح (سنن الترمذي تفسير القرآن باب : سورة ألم نشرح رقم الحديث/٣٣٤٦) .

وإن كلمة "شرح" لغة : الشق ، فاشتقت منها في اصطلاح الطب علم التشريح وتشريح الأجسام ، وفي عملية التشريح والشق يظهر باطن الشيء ، فيستعمل منه شرح أمر ، وشرح كلام ، وشرح خطاب وشرح كتاب مجازاً ، ومنه يتفرع مثل شرح صدر معناه : فتح صدر ، لكن العرب يستعملونه في إيصال المخاطب إلى المطلوب وإيضاح حقيقته ، وقد استعمل هذا كالمثل السائر في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، إن موسى عليه السلام لما أمره الله بذهابه إلى فرعون قال : ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ (طه الآيات/٢٥ – ٢٧) .

إن معرفة الأنبياء تكون منزهة من التعليم الإنساني والحكمة المادية ، فإنهم لا يعتمدون لإثبات دعواهم واستنباط نتائجهم على التجارب الماضية ، واستقراء الدلائل المنطقية ، بل كل ما يقولون ويدركون من معان مصدره التعليم الإلهي والوحي الرباني والفهم الملكوتي ، هذا ما يعرف في الاصطلاح بالعلم اللدني ، إن معنى لدن : عند ، ولدى ، وإن هذا العلم يفيضه الله على عباده المصطفين من عنده بدون كسب أو جهد ، فسمي بالعلم اللدني قال الله عز وجل في خضر عليه السلام : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ

(٤) الصحيح للإمام مسلم ، كتاب الإيمان : ٤١٦ ، باب الإسراء الجامع .

مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف الآية/٦٥) وقال مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾ (طه الآية/٩٩) وقال في بداية سورة يوسف : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف الآية/٣) .

فعلم الأنبياء يكون نتيجة للوحي الذي يوحى إليهم ، وتارة يحصل على هذا العلم اللدني الأولياء والمؤمنين الصادقين حسب مراتبهم ، وقد جاء في الجامع الصحيح للإمام البخاري أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القراء ، وإني أرى أن تأمر : بجمع القرآن ، قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر (كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن رقم الحديث/٤٩٨٦) .

ويروي الإمام الطبري من طرق متعددة .

عن أبي جعفر قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ قالوا : كيف يشرح الصدر ؟ قال : إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح ، قالوا : فهل لذلك آية يعرف بها ؟ قال نعم ، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت (٥ – ٦) .

(٥) تفسير الطبري ج/٨/١٩ .
(٦) سيرة النبي ج/٣/٢٦٣ – ٢٧٣ .

❖❖❖

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ أخلاق حسين في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ أخلاق حسين القاسمي ، ذلك العالم الكبير الذي ملأ جو البلاد بخطبه ومحاضراته ومواعظه في ضوء الكتاب والسنة ، وكان يمثل رئاسة جمعية علماء الهند بولاية دلهي ، ويحضر برامجها ويرأس الحفلات الدينية التي تعقد في مدن الولايات الهندية ، وعواصمها ، كان عميق الدراسة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، كريم الأخلاق ، حسن المعاملة ، واسع القلب ، مهتماً بالدعوة إلى الله ، ومحبباً لدى الخاصة والعامة ، استأثرت به رحمة الله مساء يوم الثلاثاء ، ١٣/من شهر أكتوبر لعام ٢٠٠٩م ، الموافق ٢٣/من شهر شوال لعام ١٤٣٠هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفقه الله تعالى إلى دراسة مقارنة بين الإسلام والديانات السابقة ، إنه ملأ فراغاً كبيراً في المكتبة التفسيرية في لغة أردو ، ذلك بمؤلفاته التفسيرية ، التي تماثل تفاسير السلف الصالح للقرآن الكريم ، ولا شك فإن هذا العمل الجليل يُذكّر بمكانته العالية في هذا الموضوع .

بلغ عدد مؤلفاته إلى ٤٥/كتاباً بين صغير وكبير ، نتيجة لدراساته الإسلامية ومجهوداته المضية ، كما أنه كان غيوراً متواضعاً ، لم يمد يده أمام غني أو رجال الحكم والسلطة ، إنما عاش بقناعة متوكلاً على الله تبارك وتعالى في جميع أعماله ، وكان نموذجاً للعلماء المتقدمين ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يراعي مصلحة مهما كانت في إحقاق الحق وإبطال الباطل .

توفي في موطنه دهلي ، ودفن في مقبره "مهديان" ، كانت وفاته فجاءة عقب نوبة قلبية .

تغمده الله بواسع رحمته ، وتقبل منه جلائل أعماله ، وغفر

له زلاته ، وأكرمه بالجنات والنعيم ، وألهم أهله وذويه ومحبيه وأوساط العلم والدين الصبر الجميل .

٢- فضيلة الشيخ المفتي عبد القدوس رومي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة العالم الجليل فضيلة المفتي عبد القدوس رومي ، صباح يوم الجمعة الخامس من شهر شوال ١٤٣٠هـ الموافق ٢٥/من شهر سبتمبر ٢٠٠٩م ، عن عمر يناهز التسعين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان يمثل الجمع بين العقيدة والشريعة جمعاً متزناً ، فكان عالماً فقيهاً بجوار كونه أديباً وشاعراً ، وذا بصر وبصيرة ، كان خريجاً من جامعة مظاهر علوم بمدينة سهارنفور ، وكان نسيج وحده في الإفتاء ، وفقه الشريعة الإسلامية ، كانت له اليد الطولى في الفتاوي والدراسات التحقيقية في الفقه الإسلامي ، فاستطاع أن يؤلف عدداً وجيهاً ، من المؤلفات التحقيقية ، كان يمثل في كل ذلك مذاهب أهل السنة والجماعة من علماء ديوبند وكان على عقيدة صالحة متميزة .

صلى عليه ابنه الكبير فضيلة الشيخ المفتي مجد القدوس خبيب ، وتم تدفينه في مقبرة بلدة آغرة ، حيث كان مقيماً من مدة طويلة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له مغفرةً كاملةً ، وجزاه الله على ما قام به من أعمال صالحة علمية ودينية وشرعية ، أحسن ما يجزي به عباده المتقين المحسنين .

٣- فضيلة الأستاذ الدكتور مقتدى حسن الأزهري إلى رحمة الله تعالى

كان الأستاذ الدكتور من كبار أدباء العربية ، قضى حياته كلها في الدراسة والكتابة والتعليم والتربية ، وذلك في الجامعة السلفية بمدينة وارانسي ، له من الأعمال العلمية والأدبية باللغة العربية والأردوية ما رفع شأنه وأكرم مكانه ، فكان نموذجاً للجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ومحبباً في جميع أوساط العلم والأدب ، وكان عهد تلقيه التعليم الأساسي في المدارس

الإسلامية ، ثم بجامعة علي جراه الإسلامية ، وأذكر منه أنه سافر للدراسة في جامعة الأزهر في الستينيات ، ومكث هناك مدة لا بأس بها ، وتلقى العلم والأدب العربي على أساتذة بارعين ، ورجع من مصر ، وزار السعودية ، وأقام هناك بعض الوقت حتى عرفه الناس في هذه المملكة العزيزة بمكانته المتميزة ، وكفاءاته العلمية ، فأحبوه وأكرموه ، فكلما كانت هناك ندوة علمية أو أدبية ، وكلما كان هناك مؤتمر علمي ودعوي كان يدعى إليها ، وقد دعي إلى عمل التوعية الإسلامية للحجيج سنوات متتالية .

هكذا كان يعيش رحيب القلب غزير العلم والأدب ، ورئيس تحرير لمجلة "صوت الأمة" الصادرة من الجامعة السلفية في وارانسي إلى مدة طويلة ، إذا بوسائل الإعلام تذيع نبأ وفاته ليلة الجمعة العاشرة من شهر ذي القعدة ، عام ١٤٣٠هـ ، المصادف ٣٠/من شهر أكتوبر ٢٠٠٩م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان نبأ وفاته مفاجأة مؤلمة ، لا في الهند وحدها ، بل في العالم الإسلامي وما إليه ، كذلك ، كان الراحل الكريم من سكان مديرية مئو ، حيث مولده ومسكنه، وكان من مواليد ١٩٣٩م ، ولولا رغبته الشديدة وتشوقه لطلب العلم والأدب لم يكن مستولياً عليه لم يحرز هده المكانة العالية ولم يبلغ مناه ، ولكن الله سبحانه وتعالى أكرمه بالعلم والدين والأدب والدعوة ، وجعله من أدباء اللغة العربية المغبوطين .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له زلاته ، ويتقبل صالح أعماله ويلهم أهله ونجله الدكتور محمد فوزان وجميع إخوانه وأخواته وأقربائه وأصدقائه الصبر والسلوان والله غفور رحيم .

٤- فضيلة الشيخ محمد مسلم الرحماني في ذمة الله تعالى

اطلعنا بواسطة بعض الجرائد الأردوية اليومية على حادث وفاة فضيلة الشيخ محمد مسلم أحد كبار علماء جمعية أهل

الحديث لعموم الهند ، وقد كان الراحل الكريم موضع ثقة في الدراسات العلمية ، والفتاوي ، وكانت له براعة فائقة في العلوم الإسلامية كلها ومجهودات طيبة في إصلاح ، المجتمع وإنه عاش حياة التعليم والتربية مع الإفادة والاستفادة طول العمر ، كان من مواليد ١٩١٣م في بنغال الغربية .

حدثت وفاته يوم السبت الحادي عشر من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٠هـ المصادف ٣١/من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٩م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ ننشر نبأ وفاته باختصار وحسب معلوماتنا الوجيزة نقول : إنه درس على كبار علماء عصره مثل المحدث الكبير العلامة الشيخ نذير أحمد ، والعلامة الشيخ أحمد الله البرتاب جري والعلامة المحدث الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري ، وقد قام بتدريس كتب الحديث ، والصحيح للبخاري في عدة مدارس كبرى مثل جامعة إصلاح المسلمين بولاية بهار ، وجامعة مظهر العلوم في مدينة بتنه ، والجامعة الفيضية شيرشاهي ، في بنغال .

ندعوالله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويكلل أعماله بالقبول ويغفر زلاته ، ويتكفل بنشر علومه بين الخاصة والعامة ويجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

٥- فضيلة المفتي أمير الله خان البوفالي إلى رحمة الله تعالى

جاءت الأنباء عبر الصحف اليومية تحمل نبأ وفاة نائب قاضي بهوبال فضيلة الشيخ أمير الله خان البوفالي ، فقد توفي يوم الأربعاء في ٢٨/من شهر أكتوبر ٢٠٠٩م الموافق ٥/من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٠هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي أوساط العلم والقضاء والإفتاء في جميع أنحاء الهند نتضرع إلى الله تعالى أن يتناوله بالرحمة الواسعة والمغفرة الكاملة .

٦- الحاج محمد ياسين المئوي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الحاج محمد ياسين صباح يوم السبت ٣١/من شهر أكتوبر ٢٠٠٩م الموافق ١١/من شهر ذي القعدة ١٤٣٠هـ ، من غير مرض مسبق إلا الشيخوخة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان من وجهاء البلد وفي غاية من الصلاح والتورع ، كان له إسهام كبير في تجديد بناء مسجد الأسرة الذي كان لنا بمثابة مسجد الأسرة ، فكان محافظاً على الصلوات مع الجماعة ، ولكنه في أواخر حياته ما استطاع أن يصلي الصلوات الخمس مع الجماعة في المسجد فصلى العشاء وصلاة الفجر في بيته .

تغمده الله بواسع رحمته وغفر له زلاته وأكرمه بالجنات والنعيم وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

٧- رحيل الأخ عبد الحميد خادم دار الضيافة بدار العلوم ندوة العلماء

في ليلة الأربعاء ٤/من شهر نوفمبر ٢٠٠٩م الموافق ١٥/من شهر ذي القعدة ١٤٣٠هـ انتقل الأخ عبد الحميد أقدم خادم لدار الضيافة بدار العلوم لندوة العلماء إلى رحمة الله تعالى وكان مريضاً من أيام ، لم يكن يدور بخلد أنه يفارقنا بمثل هذه السرعة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كانت وفاته مبعث حزن لجميع المسئولين والأساتذة وعلى رأسهم سعادة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء .

كان وفياً أميناً متجها إلى أداء مسئوليته بغاية من الصموت والالتزام بالأدب والوقار .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته وتقبل صالح أعماله ، وأكرمه بجنات ونعيم ، وألهم أهله وأولاده النجباء والجميع الصبر والسلوان .

قال رسول الله ﷺ : إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم رقم الحديث/١٦٣١) .

Al Baas-el-Islami
Nadwatul Ulama P.O. Box 93
Luknow 226007 (U.P.) India
Mob. 0091-9839911470, 9415546882, 9839214572 Fax : 0522-2787310

بسم الله الرحمن الرحيم
البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص.ب. ٩٣ ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢-٢٧٨٧٣١٠

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظه الله تعالىٰ للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٤ عاماً بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها الخامس والخمسين – والحمد لله على ذلك. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالىٰ حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك، باسم: (ALBAAS-EL- ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA)

بالعنوان التالي:

مكتب: "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص.ب.٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب. ٩٣ مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)